أدب الطفل الإفريقي .. الوجه الأبيض للقارة السمراء
المفهوم- المحتوى- أهم الإشكاليات وسبل حلها
(أدب الطفل المغربي نموذجًا)

أ. د حمدي إبراهيم حافظ
أستاذ أصول التربية- جامعة الأزهر

تقديم الدراسة:

أ- الإمكانيات والموارد الطبيعية:

إفريقيا كما تكتب نهايتها بالألف (إفريقيا)، أو بالتاء المربوطة (إفريقية)، هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة والسكان بعد قارة آسيا، حيث تبلغ مساحتها ٣٠مليون كيلو متر مربع، كما يبلغ عدد سكانها ٣ر١ مليار نسمة طبقًا لإحصائيات ٢٠١٩، وهي تضم ٥٤ دولة من بينها: مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، وموريتانيا، والمغرب في شمال الصحراء الكبرى، والباقي ـ وعددها ٤٨ دولة في جنوب الصحراء الكبرى، ويوجد بها أطول أنهار العالم وهو نهر النيل، بالإضافة لأكبر صحراء العالم وهي الصحراء الكبرى، ويحدّها من الشمال والشرق كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر، ومن الجنوب والغرب كل من المحيط الهندي والمحيط الأطلنطي، وبها أكبرممر مائي يخدم التجارة الدولية، وهو قناة السويس، وتتميز قارة إفريقيا بتربتها الغنية وأراضيها الخصبة البكر التي لم تُستزرَع بعد، ومياهها المتجددة وأمطارها الغزيرة طوال العام، وتركيبتها الاجتماعية الطيبة غير المُعقّدة حيث لم تتجذر فيها بعد الرأسمالية المتوحشة المستغلة، مما يمكنها أن تقدم الحل المثالي لأزمة الغذاء في العالم التي بدأت تلوح معالمها في الأفق لتنذر بجوعٍ يهدد مئات الملايين من البشر في مختلف قارات العالم حتى المتقدمة منها.

ب- الأوضاع الحالية:

على الرغم من كل ماسبق ذكره من إمكانيات وموارد طبيعية، فإن إفريقيا كانت وما زالت هي القارة الأكثر فقرًا وتخلفًا من بين قارات العالم، كما أن نسبة كبيرة من سكانها ما زالوا يعانون من الفقر والجهل والمرض، فمتوسط دخل المواطن الإفريقي اليومي في بعض الدول لا يتعدى (٢ر١) من الدولار، ويصل إلى (٧٥ر) من الدولار في بعض

المناطق جنوب الصحراء، أما عن الأمية فلقارة إفريقيا نصيب الأسد منها، حيث تصل نسبتها في بعض الدول إلى (٧٥%)، كما هو الحال في بوركينا فاسو، و(٧٣%) في جنوب السودان، و(٧١%) في النيجر، وكنتيجة طبيعية للفقر فالأفارقة يعانون من العديد من الأمراض أهمها: النوم، وسوء التغذية، والحصبة، والسل والتهاب الجهاز التنفسي، والإيدز، والإسهال)؛ نتيجة نقص المياه وعدم وجود صرف صحي، ويقدر ضحاياها كل عام بالملايين، أما عن البطالة فهي مرتفعة جدًّا بالقارة لتصل في بعض الدول إلى (٤٦%)، كما في الكونغو، و(٣٤%) في توجو، و(٣٠%) في النيجر، وبالنسبة للتعليم والثقافة فلم يكونا أحسن حظًا عن باقي المجالات الأخرى، حيث واجهت دول القارة السمراء أزمة تعليم حادة استطاعت تقويض النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بها، مما أدى إلى نقص اليد العاملة الماهرة والقارئ الجيد والمفكر المستنير، نتيجة لقلة فرص التعليم المتاحة والعزوف عن التعليم وارتفاع معدلات التسرب من التعليم، فعادة لا يصل سوى ثلث الأطفال المتقدمين للتعليم إلى المرحلة الثانوية، كما أن واحدًا فقط من كل عشرة طلاب هو من يصل إلى الجامعة، وعادة ما ينتقل ثلثا الخريجين إلى العمل في إحدى الدول المتقدمة الأخرى خارج القارة، سواء كانت أوربية أو آسيوية.

جـ- عوامل التاخر:

لعل هذا التدني وذلك التراجع في كافة المجالات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية بالقارة السمراء، يرجع إلى ظهور النزعة الاستعمارية للأوربيين البيض واستخدامهم للأفارقة كالحطب في موقد بناء حضارة الغرب، بداية باستعمار بلادهم، مرورًا بانتزاع ثرواتهم الطبيعية، نهاية باقتياد أهلها مكبلين بالقيود ومكدسين أكوامًا في أقبية السفن المتجهة إلى العالم الجديد في الأمريكيتين، فيما يُسمى بتجارة الرقيق، ولو أن الدراسة ترى أنه قد يجانب وجهة النظر هذه الصواب بعض الشيء، إلا أنه فيما يخص الشعوب وإرثها الحضاري لا تطلق الأحكام هكذا على عمومها، وللأسف حتى بعد حصول معظم الدول الإفريقية على استقلالها وتحررها من الاستعمار مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة للمد الثوري من القاهرة إلى كيب تاونن انطلاقًا من ثورة الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢، انتقل الحكم في معظم الدول الإفريقية إلى عددٍ من الأنظمة الوطنية الاستبدادية الفاسدة التي لم تراعِ إلا مصالحها دون النظر لمصلحة المواطن الإفريقي البسيط، وحل مشكلاته الأساسية، سواء الاقتصادية، أوالتعليمية، أوالصحية، وتحقيق طموحاته في عيش

حياةٍ كريمة، وسدّ حاجاته الأساسية التي كان يعتقد أن افتقاده لها يرجع إلى الاستعمار وسياساته، إلا أنه اكتشف إبقاء الوضع كما كان عليه رغم رحيل الاستعمار من انخفاض متوسط دخل الفرد إلى تدهور الحالة الصحية والتعليمية والثقافية.

د- الأدب الإفريقي:

ولأن الأدب هو أحد صور التراكم الحضاري للأمم، ومرآة تعكس التراث الإنساني بتجلياته المختلفة، كان على الدراسة أن تُلقي الضوء على الوجه الأبيض للقارة السمراء وهو الأدب الإفريقي، سواء للكبار أو الصغار، وتُعرِّف بعض الدراسات المتخصصة الأدب الإفريقي بأنه الأدب الوليد في البيئة الإفريقية، ومن أبناء هذه القارة أنفسهم معبرًا عن مشاعرهم وانفعالاتهم، مؤثرًا في القارئ والسامع والمشاهد بأسلوبٍ رفيع.

وعن وحدة الثقافة الإفريقية يرى (كلايف فريك) أحد المتفرقين الإنجليز "أن ثمة حقيقة هامة لا بد أن نضعها في الاعتبار، وهي وحدة الثقافة الإفريقية الحديثة، حيث إنها وحدة تكشف عن الثورة السياسية والاجتماعية، كما أنها هي التي ألهمت الأدب الإفريقي الحديث".

وعن استخدام الاستعمار للثقافة والأدب كأحد أساليب تثبيت أقدامه في المستعمرات الإفريقية، تؤكد إحدى الدراسات المتخصصة أن الاستعمار قد سعى جاهدًا إلى تغريب الأدب الإفريقي سواء للكبار أو الصغار عن المنطقة العربية، والترويج لمفهوم تقسيم إفريقيا إلى دول شمال إفريقيا البيضاء ودول جنوب الصحراء الكبرى السوداء، وإمعانًا في التغريب فقد استبدل الاستعمار اللغة العربية إلى لغة الهوسا، في حين كانت الآداب العربية نَشِطة فيما يقارب ست عشرة دولة من دول الغرب الإفريقي إلى وقت قريب، ولو أن الدراسة الحالية ترى أنه إذا كانت الدول الاستعمارية ومفكروها خلال حقبة طويلة من الزمن قد استطاعوا فصل شمال القارة عن جنوبها وفرقوا بين الأفارقة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها، فإننا نستخدم هنا كلمة "إفريقيا" بالمعنى الجغرافي العام الذي لا يفرق بين منطقة وأخرى، أو بين جنسٍ وجنس، أو بين لونٍ ولون.

وعن علاقة الأدب العربي بالأدب الإفريقي، ترى إحدى الدراسات أن خلو تاريخ الأدب العربي من إسهامات الأدباء الأفارقة السود جنوب الصحراء الكبرى، يُعد ثغرة كبيرة في البناء الإفريقي، إذ فَقدَ بذلك جزءًا غاليًا من مكتسباته الثمينة، فالذي يؤرخ لهذا الأدب لا يستطيع أن يقدم تاريخًا شاملًا ومتكاملًا له يغطي المساحة الجغرافية التي غطاها بالفعل عبر التاريخ.

وفي نفس السياق، تشير دراسة أخرى إلى أن الأدب الإفريقي ظل قرونًا يعتمد على الاتصال الشفهي، ولم يدوَّن منه إلا القليل، مما يمكن اعتباره أنه أدب حديث العهد.

هـ- بارقة الأمل:

ولأن نواميس الكون تقضي بأن الظلمة يعقبها ضياء الفجر، وإشراقة الصبح واسترسال خيوط الضوء، وحيث إنه من سُنّة الله في أرضه أيضًا ألا تتفق النتائج دائمًا مع مقدماتها، فعلى الرغم من المشكلات العديدة التي واجهت القارة السمراء والظروف الصعبة التي عاشها سكانها على مدار تاريخهم الطويل نتيجة للسياسة الاستعمارية بعد الاحتلال ثم نتيجة لممارسات بعض الأنظمة الدكتاتورية الفاسدة التي حكمتهم بعد التحرر من الاستعمار، فقد كانت تظهر بين الحين والآخر العديد من المحاولات والإرهاصات الجادة من الأفارقة في كافة المجالات، وقد أثمر ذلك عن نجاح العديد من ساساتها وعلمائها ومثقفيها بعدالعمل الجاد للوصول إلى مراحل الإبداع، مما أهّلهم لحصْد الجوائز العالمية، وعلى رأسها جائزة نوبل، حيث حصلوا على ما يقرب من إحدى عشرة جائزة نوبل في الخمسين سنة الأخيرة فقط، خمس منها في السلام، وواحدة في الطب، وأخرى في الكيمياء، للعالم المصري (أحمد زويل)، وأخيرًا أربعة في الأدب، واحدٌ من نيجيريا، وهو الكاتب (دول سويكا ١٩٦٨)، وآخر من مصر، وهو الأديب المصري الكبير (نجيب محفوظ ١٩٨٨)، واثنان من جنوب إفريقيا، هما: الكاتبين (نادرين جولد ديمر ١٩٩١)، و(جون ماكسويل كويتزي ٢٠٠٣)، وللإنصاف، لا يستطيع أحدٌ أن ينكر حجم العناية والاهتمام اللذين أولتهما بعض الهيئات والمؤسسات الثقافية الغربية، خاصة الفرنسية، بحملة الثقافة الغربية من الأدباء والكتاب والمثقفين الأفارقة، بدايةً من تقديم التسهيلات لهم في مجال التعريف بهم، مرورًا بنشر أعمالهم الأدبية، نهايةً بتقديم عناية خاصة للمبدعين منهم، حتى إن شاعر إفريقيا المعروف (سيدار سنجور) قد حظي بشرف الانضمام إلى عضوية الأكاديمية الفرنسية للثقافة، وهو شرفٌ لا يصل إليه من الفرنسيين أنفسهم إلا الصفوة، وجدير بالذكر أن هذا التقدير لم يأتِ من فراغ، بل نتيجة لما أسهم به الشاعر الإفريقي من جهدٍ في توطيد أركان اللغة الفرنسية في دول غرب إفريقيا.

ويلاحظ أن القارة السمراء قد أنتجت خلال عقودها الطويلة في مرحلة الاستعمار وما بعد الاستعمار، عددًا من الكُتّاب والأدباء والمبدعين، الذين يستحقون الإشادة بهم، أمثال (تشينوا أتشيبي)، وهو روائي نيجيري، ومن أبرز أعماله الثلاثية، و(وول سويانكا)، وهو

نيجيري أيضًا، ويُعد أفضل كُتّاب المسرح الإفريقي، ومن أبرز أعماله (محاكمة الأخ عام ١٩٦٠)، و(الموت وفارس الملك عام ١٩٧٥)، والكاتبة والروائية السنغالية (ميريمابا)، وقد صدر لها أول رواياتها بعنوان (خطاب طويل جدًّا)، و(نشيد الأرجوان عام ١٩٨١)، والكاتب والروائي المصري الكبير (نجيب محفوظ) الذي حصل على جائزة نوبل في الأدب عام (١٩٨٨) عن أعماله: (الثلاثية، والحرافيش، وأولاد حارتنا)، والكاتب الكيني (نجوجو واتينجو)، في الرواية والمسرح والقصة القصيرة، والذي حصل على جائزة لوتس في الأدب، وكان دائمًا اسمه على رأس قائمة المرشحين لجائزة نوبل في الأدب كل عام وأهم أعماله المسرحية (الناسك الأسود)، والكاتبة الجنوب إفريقية (نادرين جولد مير) التي حصلت على جائزة نوبل في الأدب عام (١٩٩١)، عن أعمالها الأدبية في مناهضة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، رغم أنها ولِدت في أسرة برجوازية، وأخيرًا الكاتب الروائي الجنوب إفريقي (جون كويتزي) الذي حصل على جائزة نوبل في الأدب (٢٠٠٣).

و- أدب الطفل في المملكة المغربية:

ونظرًا لقلة الدراسات التي تناولت أدب الطفل الإفريقي في دول إفريقيا بشكلٍ عام، وفي دول إفريقيا السمراء جنوب الصحراء الكبرى بشكلٍ خاص، فقد رأت الدراسة أن تتناول أدب الطفل في إحدى دول الشمال الإفريقي البيضاء وهي المملكة المغربية كنموذجٍ لأدب الطفل الإفريقي، باعتبارها أحد أهم المراكز الثقافية بإفريقيا منذ عهدٍ بعيدٍ، الأمر الذي يمكن أن يلقي الضوء على شكل ومضمون وإشكاليات أدب الطفل الإفريقي.

هذا وقد اقتصرت الدراسة على أربعة فصول: الفصل الأول منها بعنوان: الإطار المنهجي للدراسة، والفصل الثاني بعنوان: قارة إفريقيا .. القارة السمراء، وقد تناول بدايةً أصل اسمها وتاريخها وجغرافيتها، مرورًا بأهم لغاتها وأديانها وحضارتها، نهايةً بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أما الفصل الثالث فهو بعنوان: الأدب الإفريقي، وقد تناول بدايةً تعريفه وأهميته وخصائصه، مرورًا بأهم تأثيرات احتلال قارة إفريقيا على الأدب، نهايةً بمحتوى الأدب الإفريقي وأهم إشكالياته وسبل حل تلك الإشكاليات، وأخيرًا الفصل الرابع بعنوان: أدب الطفل في المملكة المغربية، وقد تناول بدايةً تعريف أدب الطفل المغربي وتاريخه وأهدافه وخصائصه، مرورًا بواقعه وأهم أنواعه، نهايةً بأهم إشكالياته وسبل حلها.

وقد انتهت الدراسة إلى عددٍ من التوصيات التي تأمل الأخذ بها، مما قد يساعد على وضع حلولٍ لأهم المشكلات التي تواجه أدب الطفل في قارة إفريقيا.

وأخيرًا، لا أدعي أنني قد بلغت الغاية، فحسبي أنني قد عملت واجتهدت، فالكمال لله وحده **"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"** صدق الله العظيم.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة:

أولاً– المقدمة:

لا شك أن المملكة المغربية تمثل أحد أهم المراكز الثقافية على مستوى كلٍّ من الدول العربية والإفريقية منذ عهدٍ بعيد، حتى إنه من الممكن اعتبار الأدب المغربي نموذجًا مصغرًا للأدب العربي والإفريقي معًا؛ وذلك لتشابه الظروف والمشكلات والمعاناة فيما بينهما، حتى إنه من خلال دراسة أدب الطفل المغربي يمكن التعرف على خصائص وأنواع وأهم إشكاليات أدب الطفل في كلٍّ من الدول العربية والأفريفية أيضًا، ولعل ذلك هو سبب اختيار الباحث لموضوع الدراسة.

ويؤكد ذلك الكاتب المغربي (العربي بن جلون)، ففي دراسة إحصائية له عن أدب الطفل المغربي، يذكر أن القلم المغربي في هذه الحقبة الثقافية الأدبية قد أفرز (ألف وخمسمائة وستة وخمسين) نتاجًا، ما بين قصةٍ ورواية ومسرحية وقصيدة شعرية ومعرفة ومجلة وجريدة للطفل، وقد احتلت القصة الدرجة الأولى بنسبة ٧٣%، تلتها المعارف بنسبة ١٤%، ثم المسرحية بنسبة ٥ر٤ %، فالرواية بنسبة ٤%، فالصحافة بنسبة ٥ر٢ %، وأخيرًا يأتي الشعر بنسبة ٢%، ويضيف أنه إذا أحببنا أن نستقرئ القيم الكامنة في هذا النتاج الأدبي والثقافي، فسنجد على قمة السلم القيم التربوية بنسبة ٤٤%، ثم القيم الدينية بنسبة ٢٥ر١٥ %، ثم الاجتماعية بنسبة ٩%، ثم المعرفية بنسبة ٥ر٨%، ثم التاريخية بنسبة ٨%، ثم العلمية بنسبة ٢٥ر٦ %، فالوطنية بنسبة ٥%. وبتقييم سريع لهذه الإحصائية، نجد أن أن النسبة المئوية الأعلى هي للقصة، حيث أنها الجنس الأدبي الأثير لدى الطفل، بل هي الفن الساحر الذي يشحذ عقله ويسليه ويرفّه عنه، وينمي فيه القيم الإنسانية ويثري فيه حصيلته اللغوية، وهو ما لا يلقاه في غيرها من أشكال التعبير.

ويتضح أيضًا من هذا التقييم أن نسبة القيم المعرفية والعلمية والفنية ضعيفة، في حقبة يشهد العالم تطورًا ملحوظًا في مجال العلوم والفنون والمعارف المتدفقة، ولا يخفى أن

المعرفة في عصرنا الحاضر هي القوة، وحتى نخرج من شرنقة هذه المرحلة الصعبة، كان لا بد من قصّ يُدمَج بالخيال العلمي، دون أن ندير ظهورنا للمجالات الأخرى التي تسهم في تكوين شخصية الطفل، حتى يصبح عضوًا فاعلًا في مجتمعه.

وتشير إحدى الدراسات إلى أنه بعد ازدهار أدب الطفل في المغرب على يد عددٍ كبيرٍ من الأدباء والكُتّاب المغاربة البارزين أمثال: عبد السلام البقالي، ومحمد سعيد سوسان، ومحمد إبراهيم بغلو، والعربي بن جلون، الذين أثْروا المكتبة الأدبية، سواء المغربية أو العربية أو الإفريقية، بعددٍ هائلٍ من أشكال وصور أدب الطفل، نذكر منها على سبيل المثال: مجلات (سامي والعندليب والازدهار والإرشاد... وغيرها)، فقد عرف أدب الطفل المغربي في السنوات الأخيرة تراجعًا ملحوظًا، سواء على مستوى الكتابة أو النشر أو الجودة أو القراءة، مما يمكن تسميته بالأزمة - إن جاز التعبير - فكثيرٌ من الكُتَّاب والأدباء المغاربة في أدب الطفل لم يَعُد لديهم اهتمام بمراعاة خصوصية الكتابة للطفل لتحقيق الأهداف التربوية والثقافية التي تسهم في بناء وتنمية جوانب شخصية الطفل، بقدر ما أصبح كل ما يهمهم هو التهافت على النشر وترجمة القصص الأجنبية، دون مراعاة لخصوصية الطفل المغربي العربي الإفريقي.

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن أدب الطفل في المغرب ما زال مُهمَّشًا بدرجةٍ كبيرة، مقارنةً بأدب الكبار، خاصة وأن الدراسات حول أدب الطفل المغربي ما زالت قليلة نسبيًّا، ومما يؤكد ذلك هو ندرة مراجع أدب الطفل بالمغرب، ولعل ذلك يرجع إلى عدم اهتمام الدولة بالبحث بشكلٍ عام، وبالبحث الأدبي بشكلٍ خاص، وبالبحث في أدب الأطفال بشكلٍ أخص، وذلك كنتيجة طبيعية لتردي مستوى التعليم فيها.

وعن مصادر أدب الطفل المغربي، ترى إحدى الدراسات أنه يمكن إرجاع أدب الطفل بالمغرب إلى ثلاثة منابع أساسية: أولها أدب المشرق العربي، خاصة من خلال كُتَّاب وأدباء مصر أمثال (على الجارم، وأحمد شوقي، وكامل كيلاني)، ثانيها الأدب العالمي خاصة الكُتَّاب أمثال (لافوتيه، وشار بيرو، وجيمس أري)، وأخيرًا التراث العربي والإسلامي المشتق من قصص القران الكريم، وقصص جحا ونوادر أبي النواس وكتابات عبد الله بن المقفع، وقصص ألف ليلة وليلة.

ثانيًا- مشكلة الدراسة:

بعد فترة ازدهار طويلة لأدب الطفل المغربي على يد عددٍ كبيرٍ من الكُتَّاب والأدباء المغاربة البارزين الذين أثْرَوا المكتبة الأدبية، سواء المغربية أو العربية أو الإفريقية، بعددٍ هائلٍ من قصص ومجلات الأطفال وجميع صور أدب الطفل الأخرى، عرف أدب الطفل تراجعًا ملحوظًا سواء على مستوى الكتابة أو النشر أو الجودة أو القراءة، مما يمكن تسميته بالأزمة - إن جاز التعبير-، من هنا يتضح ضرورة رصْد هذا التراجع وأسبابه بهدف التوصل إلى السبل والأساليب التي يمكن أن تعيد حالة الازدهار التي كان عليها أدب الطفل المغربي مرة أخرى.

ثالثًا- تساؤلات الدراسة:

حاولت الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم أدب الطفل المغربي؟
٢- ما المراحل التاريخية التي مرَّ بها أدب الطفل المغربي؟
٣- ما أنواع وأشكال وصور أدب الطفل المغربي؟
٤- ما أهم إشكاليات أدب الطفل المغربي؟
٥- ما السبل والوسائل التي يمكن أن تفيد في حل تلك الإشكاليات؟

رابعًا- أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة إلى الآتي:

١- أنها تعكس رأي أحد أهم رواد أدب الطفل المغربي البارزين في أدب الطفل المغربي، وهو الكاتب (العربي بن جلون) بشكلٍ عام، وفي أهم إشكالياته وفي سبل حلها دون تزيين أو تزييف أو تلوين.
٢- على اعتبار العلاقة الوثيقة والتشابه الكبير بين أدب الطفل المغربي وأدب الطفل الإفريقي، فإنه يمكن التعرف على أدب الطفل الإفريقي بشكلٍ عام، وأهم إشكالياته وسبل حلها.

خامسًا- أهداف الدراسة:

في ضوء ما سبق ذكره، فقد استهدفت ما يلي:

١- التعرف على تاريخ أدب الطفل المغربي، وبالتالي تاريخ أدب الطفل الإفريقي.
٢- التعرف على واقع أدب الطفل المغربي، وبالتالي واقع أدب الطفل الإفريقي.
٣- التعرف على أهم إشكاليات أدب الطفل المغربي، وبالتالي على أهم إشكاليات أدب الطفل الإفريقي.
٤- التعرف على أهم السبل والوسائل التي يمكن أن تسهم في حل أهم إشكاليات أدب الطفل المغربي، وبالتالي أدب الطفل الإفريقي.

سادسًا- منهج الدراسة:

استعانت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي (Descriptive methods)؛ وذلك لتقديم صورة واضحة لواقع أدب الطفل المغربي، سواء في الماضي أو الحاضر، وذلك لرصْد أي تدهورٍ أو تراجعٍ قد وقع، إضافة للكشف عما إذا كان هناك علاقة بين هذا الواقع والتراجع في أدب الطفل المغربي الحالي.

سابعًا- مصطلحات الدراسة:

حيث إن قيمة أي بحثٍ أو عملٍ علمي تعتمد على تحديد وضبط المصطلحات بشكلٍ دقيق، فقد كان علينا أن نوضح مصطلحات البحث، وهي على النحو التالي:

١- **أدب الطفل**:

- الأصل اللغوي لكلمة الأدب مأخوذة من كلمة مأدبة في الطعام الذي يدعى إليه الناس، ولذلك كان معناه اصطلاحًا، أنه يشمل التثقيف والتهذيب في العقل والشعور، فكما أن الطعام يغذي الأبدان فإن الأدب يغذي الوجدان.
- ويعرف الأدب بشكلٍ عام بأنه فنٌّ من الفنون التي تصوّر الحياة (من كتاب النعمان الذي أرسل إلى كسرى عظيم الروم لدعوته للإسلام)، وتعرِّفه دراسة أخرى بأنه "كل ما أنتجه العقل الإنساني من دروب المعرفة وعلوم الأدب، لتشمل اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والخط والإنشاء، وهناك أنواع عديدة للأدب منها: الأدب القصصي، والأدب المقارن، أدب الرحلات، والأدب الروائي... إلخ، وعرَّفه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بأنه "فن جميل يتوسل بلغة".

ويلاحظ أن أدب الطفل لم يتبلور في أدبنا الحديث إلا في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين، وذلك على الرغم من الإرهاصات الأولى لهذا اللون الأدبي، والتي تعود للقرن الحالي، وأدب الطفل كفنٍّ متميزٍ لم يجد طريقه إلى الأدب العربي قبل أحمد شوقي في الشعر العربي، وقبل كامل كيلاني في القصة، وقبل ظهور مجلات الطفل المتخصصة، وقبل تخصص بعض الكُتّاب في أدب الطفل، ونظرًا لأن أدب الطفل هو عمل إبداعي بطبيعته، وهو في الوقت نفسه اختزال للثقافات والمفاهيم والقيم والطموحات المستقبلية، فقد اختلف المهتمون بأدب الطفل في تحديد ماهيته ووصف طبيعته، فتعددت تعريفاته، وتنوعت مفاهيمه، وذلك على النحو التالي:

- يعرّفه فريد جبرائيل وآخرون بأنه "الكتب المُعدَّة للأطفال والتي يعدها خبراء في أدب الطفل وتمتاز بجودة مادتها وأسلوبها، وملائمتها لذوق الأطفال ومستوى نضجهم.
- ويعرّفه عمر محمود رضوان بأنه "الكلام الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء كان شعرًا أو نثرًا، أو تحريريًّا أو شفهيًّا، ويدخل في ذلك قصص الأطفال وأناشيدهم ومسرحياتهم وأفلامهم.
- ويعرفه محمد رشدي خاطر بأنه "كل ما يُقدَّم للأطفال من مادة مكتوبة، سواء كان كتبًا أو مجلاتٍ، وسواء كان قصصًا أو تمثيلياتٍ أو مادة علمية.
- وتعرّفه هدى قناوي بأنه "كل خبرةٍ لغوية ممتعة وسارة ذات شكلٍ فني، يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعده على إرهاف حسّه الفني، وتعمل على السمو بذوقه الأدبي ونموه المتكامل، وتسهم في بناء شخصيته وتحديد هويته وتعليمه فن الحياة.

٢ـ الإشكاليات:

هي جمع إشكالية، وهي من المصطلحات الجديدة الوافدة على لغتنا العربية، وهي ترجمة لمصطلح (Problematic)، وقد شاع استخدامها مع منتصف السبعينيات من القرن العشرين، وهي مشتقة من فعل أشكل يشكل إشكال، وتعرفها بعض الدراسات بأنها "منظومة من العلاقات تنسج داخل فكر معين العديد من المشاكل المترابطة، والتي لايمكن حلها بشكلٍ منفردٍ بل مجتمعة في إطار حلٍّ شاملٍ لها جميعًا"، والإشكالية في معجم اللغة العربية المعاصر هي مجموعة من المسائل التي تطرحها أحد فروع المعرفة،

وهي تعني التباس اواشتباه في أمرٍ أو شيءٍ ما، مما يوجب التباس في الفهم، والإشكالية في البحث العلمي هي طريقة تصورية يصوغها الباحث لمعالجة مسألة أو مشكلة معينة.

٣- المتفرقون:

هو مصطلح تم استخدامه في الدراسة الحالية، ويُطلَق على الباحثين الغربيين الذين يهتمون بالشأن الإفريقي قياسًا على مصطلح المستشرقين الذي يُطلَق على الباحثين الغربيين الذين يهتمون بدراسة أحوال الشرق.

الفصل الثاني: قارة إفريقيا .. القارة السمراء:

اولًا- المقدمة:

قارة إفريقيا، أو القارة السمراء كما يقال عنها، هي باختصار شديد إحدى قارات العالم القديم التي حباها الله بالعناصر الأساسية للحياة الكريمة من مساحة كبيرة من الأرض في موقعٍ متميزٍ بين قارات العالم الست، وباحتياطي ضخم من الموارد الطبيعية اللازمة للصناعة والزراعة، وبتربة شديدة الخصوبة، ومياه وفيرة من أمطار وأنهار وبحار، وأخيرًا مناخ متنوع يجمع بين الحار والبارد والمعتدل، وقد كان طبيعيًّا أن يقطف سكانها ثمار ذلك كله، فيعيشون في رخاء ووئام، كما يتمتعون بمستوى عالٍ من الرفاهية ورغد العيش، إلا أن حظهم التَّعِس أن تعرضوا للغزو من المستعمرين الأوربيين البيض، حتى أتى عليهم حين من الدهر ليعانوا العسف وشتى صنوف القهر والإبادة والتمييز العنصري الذي فرضه الاستعمار عليهم، ولكن نواميس الكون تقضي بأن الظلمة يعقبها دائمًا ضياء الفجر وإشراقة الصبح واسترسال خيوط الضوء، فقد استطاعت إفريقيا تحطيم أغلالها وأن تعود لها الروح مرة أخرى لتشارك دول العالم المتقدّم في مسيرة التنمية.

وقد حرصت الدراسة على تخصيص فصلٍ كاملٍ عن قارة إفريقيا؛ للتعرف عليها عن قرب قبل وأثناء وبعد الاحتلال، مما قد يساعد في التعرف على شكل ومحتوى وأهم إشكاليات أدب الطفل الإفريقي.

ثانيًا- أصل كلمة إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات إلى أن اسم إفريقيا يرجع الشق الأول منه وهو (أفري) إلى الفنيقيين، وهو لفظ يعني لديهم (الغبار) وما زال يستخدم حتى الآن في اللغة العامية المصرية (عفر تعني غبار)، أما لفظ (كا) فيعني (أهل)، مما يعني أن إفريقيا هي أهل المنطقة المليئة

بالغبار[١]، و ترى دراسة أخرى أن الشق الأول من إفريقيا وهو (أفري) يعني عند القبائل الأمازيغية كلمة (كهف)، أما الشق الثاني وهو (كا) فيعني (أهل)، أي أن إفريقيا تعني سكان الكهوف باللغة الأمازيغية، وتضيف نفس الدراسة أن ما حافظ على هذا الاسم هو إطلاقه على الممالك الإسلامية في تونس إفريقيا إبان القائد المسلم عقبة ابن نافع، وفي نفس السياق ترى دراسة ثالثة أن اسم إفريقيا باللغة اليونانية يعني (أرض الرعب)، أما باللغة اللاتينية فيعني (الأرض المُشمسة شديدة الحرارة)[٢].

ثالثًا- تاريخ إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن قارة إفريقيا مرَّت بعدة مراحل تاريخية هي:

أ- **العصر الحجري القديم**: كانت القارة تشكّل مع قارات الأرض الأخرى قارة (بنجوانا)، كما كانت بها حيواناتٌ ضخمة كالديناصورات، ثم جاءت الحقبة الوسيطة (منذ مائة وخمسين مليون عام)، حيث انفصلت القارة عن جزيرة مدغشقر وأصبحت ملاحقة لقارة (جوندوانان).

ب- **العصر الطباشيري**: انفصلت قارة إفريقيا عن قارة أمريكا الجنوبية.

ج- **عصر ما قبل التاريخ**: تعتبر قارة إفريقيا من أقدم القارات التي كانت مأهولة بالسكان، حيث سكنها الإنسان منذ ما يقرب من سبعة ملايين عام، ومع انتهاء العصر الجليدي تحولت الصحراء إلى مناطق يمكن العيش بها، وقبل ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد أصبحت أرض القارة صحراء جافة، مما دعا السكان للهجرة إلى نهر النيل وتكوين المجتمعات الدائمة، وكان معظم السكان يعملون في الزراعة وتربية الحيوانات والصيد، ومع بداية الألفية الأولى قبل الميلاد عمل السكان في الحدادة.

د- **عصر أوائل الحضارات**: بدأ العصر الأول في عام ٣٣٠٠ قبل الميلاد، وتركزت هذه الحضارات في شمال إفريقيا مثل الحضارة الفرعونية، ثم بدأت الاستكشافات الأوربية لقارة إفريقيا، وذلك عن طريق الحضارة اليونانية والرومانية، وفي عام (٣٣٢) قبل الميلاد قام الإسكندر الأكبر بتأسيس مصر وتحريرها من الاستعمار الفارسي الذي ازدهر حكمه وأسس دولة البطالمة، حتى أصبحت مصر تابعة للإمبراطورية الرومانية، وفي القرن السابع الميلادي وصلت الخلافة الإسلامية إلى مشارف إفريقيا وأصبحت تابعة لها[٣].

هـ - **إفريقيا قبل الاستعمار**: وعن علاقة الاستعمار بإفريقيا ترى دراسة أخرى أن إفريقيا في فترة ما قبل الاستعمار كانت تتضمن العديد من الدول والحكومات وصل عددها إلى عشرة آلاف دولة وحكومة نظامية، وكانت تتكون هذه الأنظمة من مجموعاتٍ من العائلات لكل منها لغتها الخاصة، وتُعد (أيف) تاريخيًّا هي أولى دول أو ممالك (اليوربا)، وقد تأسست حكوماتها تحت قيادة (أوبا المقدس)، حيث أصبحت أحد المراكز الثقافية والدينية الكبرى في إفريقيا، وقد اشتهرت بنحت وتشكيل البرونز، وهو تقليد طبيعي فريد في ذلك الوقت، أما المرابطون فهم إحدى سلالات الأمازيغ الحاكمة في الصحراء، وقد بلغ انتشارها على نطاقٍ واسعٍ في شمال غرب إفريقيا، ويُعد (بنو هلال وبنو معقل) جماعة من قبائل العرب البدو من شبه الجزيرة العربية الذين هاجروا غربًا عبر مصر في القرن الثالث عشر، مما أحدث اندماجًا بين الأمازيغ والعرب وانتشار الحضارة العربية.

و- **تجارة الرقيق في إفريقيا**: وتضيف نفس الدراسة أن الكثير من دول إفريقيا كانت تعتمد في اقتصادها على تجارة الرقيق، وقد ارتفعت معدلاتها كغيرها من المناطق الأخرى في العالم في الفترة من القرن (١٧-٢٠)، مما أدى إلى جَلْب ما يقرب من ثمانية عشر مليون إفريقي عبر الصحراء والمحيط الهندي إلى العالم الجديد، إلا أن هذا المعدل قد انخفض تدريجيًّا عبر الأطلنطي؛ بسبب صدور القوانين المناهضة للرق في أوربا وأمريكا وانتشار البحرية البريطانية قبالة سواحل إفريقيا الغربية لمنع التجارة، الأمر الذي أدى إلى اتجاه الدول الإفريقية إلى تجاراتٍ أخرى في اقتصادها[٤].

ز- **الاستعمار الأوربي في إفريقيا**: وترى دراسة أخرى أن في أواخر القرن التاسع عشر اشتركت جميع الدول الاستعمارية في حملة تزاحم كبرى، وقامت في عام (١٩١٤) باحتلال معظم الدول الإفريقية وتحويلها إلى مستعمراتٍ لها، ولم يتركوا سوى دولتين فقط هما: ليبيريا لوجود جاليات أمريكية كبيرة بها، وإثيوبيا المسيحية الأرثوذكسية (الحبشة)، وقد استمر الحكم الاستعماري الغربي لإفريقيا حتي نهاية الحرب العالمية الثانية.

ح- **استقلال الدول الإفريقية**: عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت معظم الدول الإفريقية تثور للحصول على حريتها، حتى تحقق ذلك لجميع الدول الإفريقية، ففي

عام (١٩٥١) حصلت ليبيا على استقلالها من الاستعمار الإيطالي، وفي عام (١٩٥٦) حصلت كل من تونس والمغرب على استقلالها من الاحتلال الفرنسي، وفي نفس العام حصلت السودان على استقلالها من الاستعمار البريطاني، وتبعتها غانا في العام التالي لتصبح أول مستعمرة من جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا تحصل على استقلالها، ثم توالت حركات التحرر من الاستعمار لباقي الدول الإفريقية في العقد التالي، وبشكلٍ عام حصلت معظم الدول الإفريقية على استقلالها عن طريق الوسائل السلمية فيما عدا الجزائر ومصر، وعلى الرغم من أن دولة مثل جنوب إفريقيا كانت من أوائل الدول التي حصلت على استقلالها، فإنها أصبحت تحت حكم المستوطنين البيض حتى عام (١٩٩٤)، وتم إنهاء حكمهم بناء على اتفاقية الفصل العنصري.

ط- **إفريقيا عقب التحرر من الاستعمار**: أصبحت قارة إفريقيا تضم ٥٤ دولة مستقلة ذات سيادة، ورغم تحررها فإنها ما زالت تعاني من عدم الاستقرار والفساد والعنف والصراعات الداخلية والحروب الأهلية، فمعظم الدول التي تحكم في إفريقيا هي أنظمة جمهورية إلا أن القليل منها يطبق الديموقراطية، وقد لعبت الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي سابقًا وكذلك سياسات صندوق النقد الدولي، دورًا كبيرًا في عدم استقرار الدول الإفريقية وعدم توحدهم، حيث كان هناك بعض الدول الإفريقية تدور في فلك الكتلة الشرقية، وأخرى في فلك الكتلة الغربية، الأمر الذي أدى إلى نشوب صراعاتٍ بينهما بالوكالة(٥).

رابعًا- جغرافية إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة أن قارة إفريقيا هي الجزء الأكبر ضمن النتوءات الجنوبية الثلاث الكبرى لليابسة في الكرة الأرضية.

أ- **الموقع**: يفصلها البحر المتوسط عن قارة أوربا، وترتبط بقارة آسيا عن طريق برزخ قناة السويس، وحدودها في أقصى نقطة في الشمال هي رأس بن السقى في تونس إلى أقصى نقطة في الجنوب كيب أجوالس في جنوب إفريقيا، وفي رأس هافون في الصومال بالشرق إلى كيب فرد بالغرب بمدغشقر.

ب- **المناخ**: يجمع بين عدة أقاليم مناخية، هي: الإقليم الاستوائي في المناطق القريبة من خط الاستواء، والإقليم الصحراوي ويتمثل في صحاري كلهاري والصحراء الكبرى وصحراء ناميبيا، والإقليم الموسمي ويتمثل في هضبة إثيوبيا (الحبشة)، وإقليم البحر المتوسط ويتمثل في الساحل الشمالي للقارة، تغطي المناطق الوسطى والجنوبية منه حشائش السافانا والغابات المطيرة التي تنمو في الأحراش الكثيفة، مما أدى إلى وجود مجموعة كبيرة من الحيوانات آكلة اللحوم والأعشاب.

ج- **الأقاليم الجغرافية**: تضم قارة إفريقيا خمسة أقاليم جغرافية، هي: الإقليم الشمالي ويضم (الجزائر، وليبيا، وموريتانيا، ومصر، والمغرب، وتونس)، والإقليم الجنوبي ويضم (أنغولا، جنوب إفريقيا، نامبيا، موزمبيق، زامبيا، بوتسوانا، زيمبابوي، مالوي، ليسوتو، سوازيلاند)، والإقليم الشرقي ويضم (السودان، وإثيوبيا، وتنزانيا، وجنوب السودان، والصومال، ومدغشقر، وكينيا، وأوغندا، وإرتريا، ورواندا، وجيبوتي، وجزر القمر، وموريشيوس، وغينيا بيساو)، والإقليم الغربي ويضم (مالي، والنيجر، ونيجيريا، وبوركينافاسو، وساحل العاج، وغانا، وغينيا، والسنغال، وبنين، وليبريا، وسيراليون، وتوجو، وغينيا بيساو، وغامبيا، والرأس الأخضر)، والإقليم الاوسط ويضم (الكونغو الديمقراطية، وتشاد، وإفريقيا الوسطى، والكاميرون، والكونغو برازفيل، والجابون، وغينيا الاستوائية، وبوروندي، وسأو تومي).

د- **مميزات عامة**: تتميز قارة إفريقيا ببعض المميزات عن القارات الأخرى، أهمها أنها تأخذ شكل المثلث يتسع في الشمال ويضيق في الجنوب، تُشرف على ممرات عديدة، تتحكم في التجارة الدولية مثل: قناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق جبل طارق، مساحتها ٣٠ مليون كم، بنسبة ٦% من مساحة الكرةالأرضية، (٢٥%) من مساحة اليابسة، والقوة البشرية لديها (٢،١) مليار نسمة، هي الثانية بعد قارة آسيا، وقد أثبتت الأبحاث أن قارة إفريقيا موطن الإنسان الأول الذي قام بالانتقال إلى القارات الأخرى[٦].

خامسًا- أهم لغات القارة:

تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى وجود أكثر من ألفي لغة يتم التحدث بها في قارة إفريقيا، وقد أكدت ذلك منظمة اليونسكو، ومعظم هذه اللغات من أصلٍ إفريقي، وتُعد إفريقيا من أكثر قارات العالم تعددًا للغات، وتنقسم لغات إفريقيا إلى عدة عائلات لغوية: أهمها:

- **العائلة النيلية الصحراوية:** وتتألف من أكثر من مائة لغة، يتحدث بها ٣٠ مليون نسمة من تشاد وإثيوبيا وكينيا والسودان وأوغندا وتنزانيا.
- **عائلة النيجر الكنغولية:** وتضم الكثير من سكان جنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا، وربما تكون هذه العائلة هي أكبر عائلة لغوية في العالم.
- **عائلة الخواز:** وتضم حوالي خمسين لغة يتحث بها في جنوب إفريقيا أكثر من١٢٠ ألف شخص، وهذه العائلة في سبيلها للانقراض، وبعد نهاية الاستعمار في إفريقيا اعتمدت معظم الدول على لغاتٍ رسمية لها، ومنحت الاعتراف القانوني بلغات السكان الأصليين مثل: السواحلية، واليوربية، والجيو، والهوسا، والأمهارية، إلى جانب بعض اللغات الأوروبية الأخرى التي تستخدم في المصالح الرسمية والتعاملات الدولية من الإنجليزية، أو الفرنسية، أو البرتغالية(٧).

سادسًا- أهم أديان القارة:

ترى إحدى الدراسات أن الشعوب الإفريقية متدينة بطبيعتها، ويعتنقون الكثير من الأديان، إلا أنه من الصعوبة بمكان إجراء إحصائية للانتماءات الدينية في الدول التي تجمع بين أكثر من دين، وتشير الموسوعة الأوربية إلى أن أديان سكان القارة تتوزع ما بين الإسلام (٥٠%)، والمسيحية (٤٠%)، و(١٠%) للملاحدة والأديان الأخرى الصغيرة(٨).

سابعًا- أهم حضارات القارة:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن قارة إفريقيا تمتاز بتاريخها الطويل وبالحضارات المتعددة التي احتضنتها، وعلى الرغم من أن الحضارة المصرية القديمة تتصدر قائمة أشهر الحضارات الإفريقية، فإن التاريخ والحضارة الإفريقية شملا

مجموعة ممالك وإمبراطوريات أخرى نشأت إلى جانب الحضارة المصرية، وذلك كما يلي:

أ- **الحضارة الفرعونية القديمة**: تُعد من أقدم وأطول الحضارات بقاءً، حيث أثرت تأثيرًا كبيرًا على المناطق المجاورة لها غربًا إلى ليبيا، حتى وصلت شمالًا إلى جزيرة كريت وجنوبًا إلى مملكة أكسوم، كما عقدوا العديد من الصفقات التجارية مع الفينيقيين في الساحل الشمالي لإفريقيا (قرطاج)، وأيضًا مع بلاد بونت (الصومال حاليًا) أثناء حكم الملكة الفرعونية حتشبسوت.

ب- **حضارة النوق**: اكتشفت القطع الأثرية لإمبراطورة النوق عام ١٩٢٨، وأظهرت الأبحاث أنها حضارة معقدة في غرب إفريقيا، بدأت منذ عام ٩٠٠ ق.م، حتى ٢٠٠م، وفي ظل ظروف غامضة اختفت الحضارة تمامًا، ولعل ذلك يرجع إلى موجة الجفاف وحدوث مجاعة قضت على سكانها.

ج- **إمبراطورية قرطاجة**: تأسست قرطاجة القديمة على يد الفنيقيين عام ٨١٤ ق.م، وقد غطت معظم شمال غرب إفريقيا، كما أبدعت في صناعة الأثاث والمنسوجات، ووضعت نظامًا إداريًا للحكم.

د- **إمبراطورية سونغاي**: من أهم وأكبر الإمبراطوريات في العالم، حيث كانت تشغل مساحة كبيرة من الأراضي في غرب إفريقيا، استمرت في الفترة من القرن (١٥-١٦)، اعتمدت على تجارة الذهب.

هـ- **إمبراطورية مالي**: ازدهرت بين القرنين (١٣-١٦) على يد الملك (سونجاتا كيتا)، اعتمد اقتصادها على الملح والذهب والعاج، زاد نموها على يد الملك (منسا موسى) الذي أصبح أغنى رجال العالم، وكان أول زعيمٍ إفريقي أسود يؤدي فريضة الحج عبر ٤٠٠٠ ميل.

و- **مملكة أكسوم**: من أكبر الإمبراطوريات الإفريقية (إثيوبيا حاليًا والحبشة سابقًا)، تمتد عبر شرق إفريقيا وجنوب مصر وخليج عدن، استمرت من عام (١٠٠-٩٤٠) ميلاديًّا، قامت بالتجارة مع الهند وروما، اشتهرت بالأبراج والكنائس العالية[٩].

ثامنًا- الأحوال السياسية في قارة إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات إلى أن جميع نظم الحكم بإفريقيا قبل الاستعمار كانت ملكية، وبعد الاستعمار كان يتم الاستعانة بالملوك وأقاربهم في حكم الممالك، الأمر الذي أفاد الاستعمار في فهْم طرق وأساليب الحكم وأُسس التعامل مع السكان، وقد اختلفت الأنظمة السياسية باختلاف الاستعمار، فبالنسبة للاستعمار الفرنسي فقد كان يتدخل في كل شيء في المستعمرات، سواء في الثقافة، أو نظام التعليم، وفي أنظمة العمل، والصناعة، والزراعة، حتى إنه كان لا يُسمَح بتدريس اللغات المحلية في المدارس، وقصر التعليم على الفرنسية، كما كان يعتبر سكان المستعمرة مواطنين فرنسيين، أما الاستعمار الإنجليزي فكان لا يهتم بذلك معتبرًا أن الأفارقة لا يمكن أن يصبحوا إنجليز، وترك لهم الثقافة والتعليم والأنظمة الأخرى، وكان يهتم فقط بالاستيلاء على موارد المستعمرة الطبيعية؛ لتشغيل المصانع في لندن، وقد أسهمت كل طرق الاستعمار في إيجاد فجوة بين الاستعمار والسكان والقضاء على الشخصية الإفريقية، الأمر الذي أدى إلى ظهور الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال، وأن إفريقيا للإفريقيين، حتى حصلت جميع الدول الإفريقية على استقلالها في عام (١٩٦٠)، فيما عدا جنوب إفريقيا التي تحررت في العقود اللاحقة، وأصبحت أغلب الأنظمة الحاكمة بعد الاستعمار جمهورية[١٠].

تاسعًا- الأحوال الاقتصادية في قارة إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات الاقتصادية إلى أن إفريقيا من أفقر قارات العالم من حيث متوسط دخل الفرد، فعلى الرغم من أن سكان إفريقيا يمثلون (١٢%) من سكان العالم، إلا أن نصيب إفريقيا يمثل (٢%) من الدخل العالمي، وتُعد المواد الأولية من الحاصلات الزراعية والمعادن النفيسة من الذهب والبلاتين والكروم من أبرز ما تنتجه القارة، وتعتمد عليه في صادراتها، حيث تمتلك إفريقيا (١٢%) من احتياطي النفط في العالم، و(٤٠%) من ذهب العالم أيضًا، و(٩٠%) من البلاتين، وشهدت بعض دول إفريقيا أخيرًا ارتفاعًا في معدلات النمو حتى بلغت (٧%) في بعض دولها عام (٢٠١٣)، مثل: كينيا وأوغندا وتنزانيا، وتتضمن نيجيريا أكبر اقتصاديات القارة، تليها جنوب إفريقيا، ثم مصر، وقد دخل رأس المال العالمي أخيرًا للاستثمار في بعض الدول المستقرة سياسيًّا، مثل كينيا وأوغندا ونيجيريا[١١].

عاشرًا- الأحوال الاجتماعية في قارة إفريقيا:

ترى إحدى الدراسات أن قارة إفريقيا قد شهدت تحولاتٍ اجتماعية كبيرة خلال القرن الحالي، حيث تحولت المستعمرات التي رسم الأوربيون حدودها إلى دولٍ مستقلة، كما سنَّت قوانين جديدة غير القوانين العرفية القديمة التي كانت سائدة أيام الممالك القديمة، كما قامت فيها الأسس البيروقراطية في الإدارة التي تخالف النمط الذي كان سائدًا في السلالات الاجتماعية السابقة، كما ظهرت المدن الحديثة والصناعات التحويلية، وأمسكت بإدارة البلاد شخصيات مثقفة من النخب ذات الثقافة الغربية المنحدرة من أصولٍ متواضعة فقيرة من الفلاحين والعمال والطبقة الكادحة؛ لتؤسس قيمًا وأفكارًا جديدة في تلك المناطق، لقد صار أبناء المدن في غرب إفريقيا مثلًا يوائمون حياتهم مع النمط الغربي، وينشدون هويتهم الإفريقية من خلال مبادئ نظرية غريبة مُطعَّمة بعلاقاتٍ حميمة مع الأصول التربوية للآباء والأجداد، وصار الأمن الاجتماعي ينشأ من خلال الروابط العِرقية لا السلالية، وقامت النقابات والروابط ذات الأهداف الحديثة، ونشأت أساليب جديدة لمقاومة الإحباط والتوتر الناجمين عن التغيرات المتسارعة في بنية المجتمع، وقد طال هذا التغير كل مجالات الحياة من سياسةٍ واقتصادٍ وفكرٍ وثقافة وأدب، وما زال التحول الاجتماعي مستمرًا[١٢].

حادى عشر- الثقافة والفنون في قارة إفريقيا:

تشير إحدى الدراسات إلى أن هناك جوانب كبيرة من الثقافات الإفريقية التقليدية أصبحت تُمارَس في السنوات الأخيرة بعد سنواتٍ من الإهمال والقمع على يد الاستعمار وبعض الأنظمة المحلية بعد الاستعمار، كما أن هناك محاولاتٍ جادة لإعادة اكتشاف الثقافات التقليدية الإفريقية، وإعادة الترويج لها في إطار الحملة المعروفة (بالنهضة الإفريقية) التي يقودها مجموعة من المثقفين الأفارقة، ويُلاحَظ أن الثقافة الحضرية في إفريقيا الآن ترتبط بالقيم الغربية، وهذا أمر يُعد مناهضًا للثقافة الإفريقية التقليدية الموروثة، وقد حصلت بعض المدن الإفريقية مثل: لوانجو ومبانزا بالكنغو وتجتكتو، وطيبة، على جائزة أكثر مدن العالم من حيث الثقافة، والنظافة، والتنظيم، وعدد الجامعات، والمكتبات، وتضيف نفس الدراسة أن المغرب تُعد أهم مركز ثقافي في العالم العربي منذ عهدٍ بعيدٍ حتى الآن، في حين أننا نتذكر الإيقاعات الموسيقية في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا، لاسيما غرب إفريقيا، والتي تحولت عن طريق التجارة عبر الأطلسي إلى الأنواع الحديثة من الموسيقى، مثل: السامبا والبلوز، والجاز، وريجي، والراب والروب)، وقد شهدت الفترة من الخمسينيات حتى

السبعينيات من القرن الماضي تجميعًا لهذه النوعية من الموسيقى ممزوجة بالطبول الإفريقية الشعبية المميزة، وموسيقى (الهايلايفو) التي تجمع بين الكورال الغنائي لجمهورية جنوب إفريقيا ونمط الإيقاع الراقص لجمهورية الكونغو الديموقراطية، وعادة ما يظهر تأثير الموسيقى العربية على دول شمال إفريقيا، بينما يظهر تأثير الموسيقى الغربية على دول جنوب القارة(١٣).

الفصل الثالث: الأدب الإفريقي:

أولاً- المقدمة:

كان موضوع الأدب الإفريقي إلى عهدٍ قريبٍ حكرًا على المتفرقين بشكلٍ خاص من أمريكا وأوربا، حتى ظهر على أيديهم مصطلح "الأدب الإفريقي"، إلا أن هذا المصطلح اختلط مع ظهوره بالنزعات الاستعمارية ومخلفاتها الثقافية، وتدرج في مجاله من الأدب الشعبي الفلكلوري غير المكتوب إلى الأدب المكتوب باللغات الأوربية الثلاث التي دخلت في ركاب السيطرة الاستعمارية، وهي بترتيب ظهورها في إفريقيا: البرتغالية، ثم الإنجليزية، ثم الفرنسية، ثم شمل أدب اللغات الإفريقية المكتوبة مثل السواحلية، والزولو، والهوسا، ومع ذلك لم يسلم المصطلح من التحيز إلى أوربا والعطف على الأفارقة من منظور التلمذة على الأوربيين.

إلا أن موجة التحرر والاستقلال التي اجتاحت القارة الإفريقية بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتحرر أكثر من ثماني عشرة دولة من القاهرة شمالاً إلى كيب تاون جنوبًا، ومن أنتاناريف (عاصمة مدغشقر) شرقًا إلى لواندا (عاصمة أنجولا)غربًا، أدت إلى تغيراتٍ كثيرة في معاني المصطلح ودلالاته الثقافية، كما أدت إلى ظهور عددٍ كبيرٍ من الأدباء الأفارقة الجدد ليس في اللغات الأوربية الثلاث المذكورة فحسب، وإنما في اللغات المحلية الإفريقية المكتوبة أيضًا، حتى علا صوت الإبداع الأدبي بلغات المستعمرين، وأخذ في النمو والبروز مع ازدياد موجة التحرر والاستقلال، مما شكَّل ظاهرة أدبية مثيرة للانتباه، احتضنها منذ بدايتها جمهورٌ من الدارسين الأوروبيين والأمريكيين، أطلِق عليهم اسمٌ مشتقٌ من طبيعة اهتمامهم وهوالمتفرقين (African)، قياسًا على قول المستشرقيين الذين يهتمون بالشرق.

ولقد ترعرع الأدب الإفريقي في ظل الجدل الاستعماري حول تاريخية الإفريقيين، وبقيت ملامح التحدي والاحتجاج مرسومة على جبين الأديب والكاتب الإفريقي، يخطب لإقناع قارئه، ويعرّفه بخطر دعاوى الاستعمار وعدم صلاحية فلسفته للمجتمع، وهو ما يعبر عنه الروائي النيجيري الكبير (تشينو أشيبي) "سأكون جدّ سعيد إذا لم تُحدِث رواياتي أثرًا على القراء سوى إقناعهم بأن ماضيهم لم يكن أبدًا سوى ليلًا طويلًا من الهمجية، أنقظهم منها - لوجه الله - أول طارقٍ أوروبي".

ثانيًا- تعريف الأدب الإفريقي:

شغل الأدب الإفريقي الكثير من الكُتّاب والأدباء الأفارقة، وتشير إحدى الدراسات إلى أن الأدب الإفريقي له العديد من التعريفات، فعرفه الأديب الجنوب إفريقي (مازيسي كونيتي) بأنه الأدب الذي يصوّر واقعًا إفريقيا بجميع أبعاده، بما في ذلك النزاع مع القوة المسيطرة على القارة، والنزاعات داخلها، سواء كان الأديب من أصل إفريقي أو غيره، بينما عرّفه الشاعر (كرستوفر أوكيحبو) بأنه الأدب الموجود داخل إفريقيا[١٤]. وترى دراسة أخرى أن جمهور المتفرقين قد أجمع على أن الأدب الإفريقي هو "أدب المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى"؛ وذلك لإجماعهم على أن الصحراء الكبرى تقسم إفريقيا إلى قسمين: قسم في الشمال يضم الدول العربية الإسلامية البيضاء، وقسم في الجنوب من الصحراء الكبرى يضم دول إفريقيا السوداء. ولعل أنسب التعريفات كانت هي الصادرة عن الروائي النيجيري (تشينو أتشيبي) الأدب الإفريقي هو "المجموع الكلي للآداب القومية والعِرقية في إفريقيا"[١٥]، وفي نفس السياق ترى دراسة أخرى أن الأدب الإفريقي هو "الأدب الوليد في البيئة الإفريقية ومن أبناء القارة أنفسهم، بعيدًا عن مشاعرهم وانفعالاتهم، مؤثرًا في القارئ والسامع بأسلوبٍ رفيع"[١٦].

ثالثًا- تاريخ الأدب الإفريقي:

تشير بعض الدراسات إلى أن الأدب الإفريقي بدأ منذ ما يقرب من (٢٠١١) في مصر الإفريقية، حيث كان من أهم الشعائر الدينية للفراعنة أن يُدفَن مع الموتى كتابٌ يُسمى (كتاب الموت)، ويحتوي هذا الكتاب على مجموعة مكتوبة من الصلوات والخطب التي تهدف في المقام الأول إلى تمكين الشخص المتوفى من التغلب على أخطار ما بعد الموت والخروج بأمانٍ من القبر إلى عالَم ما بعد الموت، كما كان يحتوي أيضًا على أهازيج وكتاباتٍ ذاع صيتها في مصر آنذاك[١٧]، وفي نفس السياق تشير دراسة أخرى إلى أن المتتبع

لجذور الأدب الإفريقي يجد أنها ضاربة في أعماق التاريخ، فقد كان هناك كاتبٌ مسرحي معروف في التراث المسرحي الأوربي في العصر الروماني هو (ترنتيوس) الذي جيء به من قرطاجنة بشمال إفريقيا كعبدٍ ثم أعتقه سيده وخلع عليه لقب أسرته، إلا أنه احتفظ بكنيته الإفريقية، وقد كتب جميع أعماله المسرحية باللغة اللاتينية، وما يؤكد ذلك صوره التي تخيلها المصوِّرون عنه، بالإضافة لتفاصيل مسرحياته التي أظهرت أنه من أصلٍ زنجي إفريقي، وقد كان (ترنتيوس) هو أول كاتبٍ مسرحي إفريقي يكتب بلغة أوربية[١٨]

وترى دراسة أخرى أنه إذا أردنا الحديث عن الأدب الإفريقي المدوَّن فلا يمكن أن ننسى المتفرق الألماني (هانيزيان) وما نشره من قائمة تحت عنوان الأدب الإفريقي الجديد ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي حتى عام (١٩٦٧)[١٩]، وفي السياق نفسه ترى إحدى الدراسات أن دروب الأدب الإفريقي تشعبت وبدأت تزداد تعقيدًا منذ تحررها بدايةً من منتصف القرن التاسع عشر[٢٠].

رابعًا- أهمية الأدب الإفريقي:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن الأدب الإفريقي كان ملاذًا للإفريقيين للتنفيس عن همومهم وأحزانهم، والتعبير عن صراعاتهم الداخلية التي عانوا منها خلال محاولاتهم التأقلم مع البيئة الجديدة لأوطانهم المستعمرة، ولقد أظهرت الدراسات النقدية للأدب الإفريقي تسليطه الضوء على المواضيع المثيرة للجدل كالتمييز العِرقي والعنصري، والصراعات السياسية، والحروب الطائفية، والتفرقة الجنسية، ولقد عززت هذه المواضيع الأدب الإفريقي، مما جعله من أهم أنواع الأدب ذي المغزى الذي يستحق أن يَحلَّل أدبيًّا ويُدرَس[٢١]، بينما أشارت دراسة أخرى إلى أن الأدب الإفريقي استطاع أن يسلط الضوء على معاناة الأفارقة الحياتية، حيث كان هناك من المصاعب التي لم يكن بالإمكان إظهارها لولا شجاعة الكُتّاب الأفارقة الحياتية وخضوعهم للقلم والورقة لتسجيل معاناتهم التي أنتجت أعمالًا أدبية تساعد للترويج عن أنفسهم آنذاك[٢٢].

خامسًا- خصائص الأدب الإفريقي:

يتميز الأدب الإفريقي بخصائص معينة يُعرَف بها في الوقت الحاضر وستستمر معه في المستقبل؛ لأن هذا الأدب معقودٌ على هذه الأجيال، وإذا كان على الأجيال الماضية أن تثبت وجودها وتؤكده في الأدب وتدافع عن الوجود الإفريقي، فإن الأجيال القادمة سيكون عليها أن تقيم تقاليد جديدة غير منعزلة عن التقاليد القديمة؛ لتستمد منها قوة الحاضر

والمستقبل، وهكذا سيستمر الأدب الإفريقي في ماضيه البعيد والقريب، كما سيكون أيضًا في مستقبله أيًّا ما كان تغير هذه القيم، وهو أمرٌ طبيعي لا يقبل الخلاف.

وتشير إحدى الدراسات المتخصصة بوجود خصائص معينة للأدب الإفريقي، أهمها: ارتباط الأدب الإفريقي بقضاياه العامة ورفض السيطرة والهيمنة الاستعمارية، وعدم ارتباط الأدب الإفريقي بهمومٍ فردية بل بهموم الجماعة، إضافة للوضوح الذي يصل إلى حدّ الشفافية في الأسلوب، خاصة الأعمال التي كُتِبت باللغات الأوربية سواء الإنجليزية أو الفرنسية أو البرتغالية، وأيضًا التلقائية في التعبير، مما يظهر عليه السطحية في بعض أعمال الكُتّاب والأدباء الأفارقة[٢٣].

سادسًا ـ أثرالاحتلال الأوربي لقارة إفريقيا على الأدب:

ترى إحدى الدراسات أن الأدب الإفريقي سواء الشفاهي أو المكتوب قد تعرَّض لخطرٍ خارجي لا يُستهان به من المستعمرين الأوربيين، وقد بررت الدول الأوربية ذلك بأنهم جاءوا لنشر المسيحية والتبشير بها لسكان القارة الوثنيين والبدائيين، رغم أن السبب الحقيقي وراء ذلك ليس سوى محاولة الأوربيين لاستغلال الثروات الطبيعية للقارة واستعباد أهلها، فقد عُقِد مؤتمر عام ١٤٤٨م دعت إليه البرتغال ليضم جميع الدول الأوربية بهدف تقسيم دول إفريقيا فيما بينهم[٢٤]، وفي نفس السياق ترى دراسة أخرى أن قارة إفريقيا ظلت لفترةٍ طويلة مختبرًا لنظريات الدول الاستعمارية السياسية أوالاقتصادية أوالثقافية في بشاعةٍ لم يحدث لها مثيل سواء في التاريخ القديم أو الحديث[٢٥].

سابعًا- محتوى الأدب الإفريقي:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن الأدب الإفريقي يحتوي على العديد من الأعمال المتنوعة بلغاتٍ مختلفة، بدايةً من الأعمال الأدبية الشفهية، مرورًا بالأعمال المكتوبة بلغة المُستعمِر سواء الفرنسي أو الإنجليزي أو البرتغالي، نهايةً بالأعمال المكتوبة باللغات الإفريقية المحلية، وتضيف نفس الدراسة أن تنوع لغات الأدب الإفريقي قد ساهمت في بناء أعمال راقية تحتوي على مصطلحاتٍ وتراكيب لغوية مختلفة، كما ازدهرت الأعمال الأدبية من شعرٍ ومسرحياتٍ وروايات وقصص قصيرة حتى أصبحت من الأعمال الأدبية الشائعة في إفريقيا، وعادة ما تقدم هذه الأعمال معرفة وعلمًا في شتى المجالات، وتضيف نفس الدراسة أن الأدب الإفريقي الشفهي قد سلك طرقًا عديدة مثل: الأمثال، والألغاز، والقصص الملحمية، والخطب، وشعر المدح، والأغاني، والترانيم والشعائر الدينية،

والقصص بأنواعها سواء الشعبية أو الأساطير، كما أن للأدب الإفريقي صورًا وأشكالًا، أهمها:

أـ **الأدب الشفوي**: ويشمل القصص، والمسرحيات، والألغاز، والقصص التاريخية، وترانيم دفن الموتى، والأمثال، والعديد من من التعابير التي وظِّفت بشكلٍ أساسي لتعليم الأطفال وترفيههم.

بـ **التاريخ الشفهي**: ويشمل القصص الخرافية، والأمثال، التي ترسِّخ في أذهان المجتمع الإفريقي أمجاد أسلافهم البطولية وتاريخهم العريق، كما تشكِّل هوية لحاضرهم من عاداتٍ وتقاليد.

جـ **الأدب المكتوب**: ويشمل الرويات، والشعر، والمسرحيات، والترانيم، والقصص، كما شهد الأدب الإفريقي في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر أحداثًا ومعاناة الشعوب الإفريقية التي استُعمِرَت أراضيها، ووصِف الأدباء الأفارقة الذين كتبوا باللغات الأوربية بأدباء الثورات، كما انتقلت النصوص الأدبية من كونها وسيلة شفاء للإفريقيين وطريقًا لهم لاستعادة أمجاد ماضيهم، إلى مرحلة أسمى حيث صبَّت جل اهتماماتهم على التمرد والانتفاضة ضد الاستعمار الأوروبي، حتى أصبحت أعمال الإفريقيين الأدبية تعتني بالحياة الواقعية التي يعيشها الفرد في وطنه، وتنتقد ماضيهم الصامت بسلبية(٢٦).

ثامنًا- أهم إشكاليات الأدب الإفريقي:

ترى إحدى الدراسات المتخصصة أن هناك العديد من الإشكاليات التي تواجه الأدب الإفريقي أهمها: إشكالية اللغة، وإشكاليات الأديب، وإشكاليات القارئ، وهي كالتالي:

١- إشكالية اللغة:

وقد انقسم أطراف الإشكالية إلى فريقين، فريق يتزعمه (تشينو أتشيبي) يرى أن بعض اللغات الأوروبية مثل: الإنجليزية أو الفرنسية أو البرتغالية قد فُرِضت فرضًا على لسان الأدب الإفريقي، ومن مصلحة الأديب الإفريقي الاستفادة منها والاستعانة بها لإيصال أدبه إلى العالم بسهولة، فيستطيع عرض مشكلة بلده على العالم وفضح أساليب الاستعمار التي تتنافى مع أبسط مبادئ الإنسانية، خاصة وأنها من أولى اللغات الرسمية والتي يتحدث بها ويفهمها عددٌ كبيرٌ من دول العالم، (اللغة الإنجليزية لغة أولى لأكثر من ٤٠٠ مليون

نسمة في جميع القارات، واللغة الفرنسية لغة أولى لأكثر من ٢٨٠ مليون نسمة، واللغة البرتغالية هي لغة أولى لأكثر من ٢٠٠ مليون نسمة)، هذا إلى جانب أن ليس من المهم التركيز على إيصال أعماله إلى القارئ الإفريقي بلغته الإفريقية التي يُقدَّر عددها بألفي لغة، فيكفيه فقط أن يتمكن من توعيته بعراقة وغزارة ثقافة وهوية لغته الأم، تلك الهوية التي واجهت حملة عنيفة من قِبل الاستعمار لطمسها ودفنها إلى الأبد، في الوقت الذي لا تجد فيه معظم اللغات الإفريقية نظم كتابة واضحة متفق عليها من الجميع؛ إذ إن من الموثوق فيه أن كثيرًا من شعوب القارة الإفريقية اعتادت من قديم الأزل على أسلوب النطق والمشافهة فقط دون استخدام الورقة والقلم مطلقًا، ومن أبرز الأمثلة على ذلك لغة القبائل (الانيو)، ناهيك على أن الاعتماد على اللغات الإفريقية في الأدب الإفريقي - إلى جانب أن لا يفهمها جميع الأفارقة حيث إن لكل دولة أكثر من لغة - فإن وسائل الأدب سوف تتقوقع وتنحصر داخل الدول التي لا يفهم سكانها لغة الأدب، مما لا يتحقق الهدف منه، وبالتالي فإن اللغات الأوربية تأتي هنا لتختصر كل هذا العناء وتطرح نفسها كلغات تواصل متاحة في متناول الجميع على اختلاف لغاتهم.

أما الفريق الاخر، فمن منطلق سردية قومية معادية للاستعمار وكل ما نتج عنه من مظاهر، فيرى أن اللغات الأوربية للدول الاستعمارية لا يمكن أن تكون لغة الأدب الإفريقي، حيث إن التحرر الحقيقي لا يمكن أن يتم بدون إعادة إحياء اللغات الإفريقية الأصيلة والاعتزاز بها، كما أن دور الأدب ومسئولية الأديب يجب أن تنطلق من داخل القارة الإفريقية وتكون بلغاتها؛ حتى تستطيع مخاطبة العامة الذين لا يجيدون إلا اللغات المحلية، مما يثير هممهم ويحفزهم على الثورة ضد الاستعمار، كما أن استخدام الأديب للغة الأوربية للتعبير عن ثقافته وتوصيلها إلى شعبه ينتهي إلى تغيير رسالته التعليمية وإلى عدم الأمانة، لذلك كانت اللغات الإفريقية هي الهدف الأساسي للدول الاستعمارية، خاصة الاستعمار الفرنسي الذي عمل على قتل اللغات الإفريقية ونشر لغته وبثّ ثقافته، مما أدى إلى وأد الروح الوطنية في الأدب الإفريقي، وفي نفس السياق ترى دراسة أخرى مع استخدام اللغات الأوروبية في الأدب أن الكتّاب الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية مثلًا لا يصادقون أو يؤيدون بالضرورة الاحتلال البريطاني، وإنما تكون المسألة أكثر وظيفية بالنسبة لهم؛ بمعنى أن اللغة الإنجليزية تكون مجرد أداة للانتشار في العالم الخارجي من ناحية، وعلى المستوى الداخلي أيضًا، ومن أمثلة ذلك أن دولة مثل جنوب إفريقيا تجمع بين أكثر من إحدى عشر لغة

رسمية معتمدة بها وكلها لغات محلية مكتوبة ومنطوقة يتم التأليف بها، رغم أن في واقع الأمر لا يجيدها الكثير من السكان المحليين لدواعٍ عِرقية وقومية، مما أدى إلى لجوء الكُتّاب والأدباء إلى التأليف باللغة الإنجليزية بوصفها اللغة الأكثر شيوعًا لدى أغلب سكان دولة جنوب إفريقيا رغم أنها لغة الاستعمار.

وترى دراسة أخرى أن الأديب الإفريقي المعروف (يوبولد سدار سنجور) يؤكد أن حل مشكلة اللغة في الأدب الإفريقي هو باتباع سياسة تربوية ترتكز على استعمال كلٍّ من اللغات المحلية الإفريقية واللغات الأوربية[٢٧].

٢- إشكاليات الأديب:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى وجود إشكاليات عادة ما تواجه الأديب الإفريقي، أهمها:

أ- الشعور المزدوج بالغربة داخل الوطن نتيجة استئثار المستعمر بكل شيء، والغربة داخل اللغة نتيجة لاضطرار الكاتب إلى التفكير باللغة الأم والكتابة بلغة المستعمر، خاصة وأن الذين أُتيح لهم أن يكتبوا بلغات الأم قد عانوا كثيرًا.

ب- الالتزام والتقيد بالموروث الثقافي، حيث إن القبيلة هي التي تحدد للكاتب أو الأديب أو الفنان الأهداف العامة التي يلتزم بها في أدبه، مما أصبح يتشابه مع دور الأديب في الأدب الشفاهي.

ج- على الأديب أو الكاتب أن يحارب الفردية التي انتشرت فترة الاستعمار.

د- على الأديب الإفريقي أو الكاتب محاربة مظاهر القيم الغربية التي اجتاحت معظم الدول الإفريقية، رغم تحررها والوقوف أمام المذهب الغربي بما يعرف (بالفن للفن) أي تحرر الأدب.

هـ مراعاة التوفيق بين الأدب والسياسة، وهو من الصعوبة بمكان تحقيقه، حيث لا يستطيع الكاتب أن يتجاهل الواقع الخصب لصاحب الرؤى الجديدة (السياسي).

و- التعبير اللغوي: حيث ما زال الكاتب في حيرة بين أن يعبر باللغة الأوربية الواسعة الانتشارويحقق أهدافه، وأن يعبر بلغته الأم القليلة الانتشار نتيجة ارتفاع نسبة الأمية وانخفاض المستوى الاقتصادي الذي لا يسمح لهم بالقراءة.

ز- إقليمية الأدب: وهي من أخطر النظريات على الأدب الحديث، ويجب أن نفرِّق بين تأثير البيئة في الأدب - وهذا لا اعتراض عليه بل مقبول - وبين إقليمية الأدب،

بدليل أن المتنبي وُلِد في الكوفة بالعراق ثم انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق في سوريا، إلا أن آثاره لم ترتبط بقطرٍ معينٍ أو بمدينة معينة، بل عمَّت جميع الأقطار[٢٨].

٣- إشكاليات القاري:

تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أن القارئ عادة ما يتعرض إلى بعض الإشكاليات خلال متابعته لأحد صور الأدب الإفريقي، أهمها:

أ- إشكالية الأدب الشفاهي: تُعد مشكلة الأدب الشفاهي مشكلة كبيرة أمام قارئ الأدب الإفريقي، وذلك رغم أهميتها في فهْم الأدب المكتوب، وتشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن الأدب الإفريقي المكتوب باللغات الأوربية والإفريقية يشكِّل مساحة ضئيلة على خريطة التعبير الأدبي المكتوب خارج نطاق اللغة العربية مقارنةً بالأدب الذي تناقله الشفاه من مكانٍ إلى آخر ومن جنسية إلى أخرى، حيث إنه أدب استمد من البعض الأدب الحديث لإفريقيا بصورة أشبه بالأدبين: الإغريقي والروماني في كونهما ركيزة للأدب الأوربي الحديث الذي يُعد من أهم المؤشرات في الأدب العالمي المكتوب، وتضيف نفس الدراسة أن أول محاولة جادة ومهمة في جمع ألوان الأدب الإفريقي الشفاهي كانت على يد المتفرق الألماني (أوجست سيدل)، حيث تم جمعه في صورة منتخبٍ كبيرٍ من الأدب الشفاهي تحت عنوان "القصص الإفريقية وحكاياتها"، والذي دعا فيها القارئ الأوربي العالَم إلى رؤية فكر وتحليل وشعر الإفريقي الذي كانوا يدعون عليه بالتوحش والجهل والتخلف العقلي، وبالمثل أعاد زميله (فروينوس) الكرة في نشر منتخبٍ ضخمٍ سمّاه "أطلنطيس"، حيث ظهر في اثنى عشر مجلد، وذلك عام (١٩٢٧)، واحتوى على أكثر من أربعة آلاف صفحة[٢٩].

وترى دراسة أخرى أن الأدب الإفريقي المكتوب قد حلّ مشكلة الأدب الشفاهي حلاً عمليًّا، مما أتاح للقارئ فرصة الاطلاع والتحليل والبحث، وقد ساعدت الترجمة على تيسير المراجع باللغات الأوربية بشكلٍ خاص، إلا أنه مازال جزءًا كبيرًا من هذا الأدب المكتوب باللغات الإفريقية بعيدًا عن متناول الدارس غير المتخصص في هذه اللغات، علمًا أن الأدب الشفاهي غير المكتوب لم يجمع حتى اليوم بطريقةٍ شاملة ومنظمة[٣٠].

ب- إشكالية المراجع: تشيرإحدى الدراسات إلى أن الأدب المكتوب قد حلَّ مشكلة المراجع حلًا عمليًّا بما أتاحه للقارئ والدارس معًا من قوائم وفهارس منظمة باللغات الأوربية، كما ساعدت الترجمة على تيسير المراجع خاصةً الأوربية، أما بالنسبة للأدب المكتوب باللغات الإفريقية الأم، فما زال غير متوفر لدى الدارس غير المتخصص في هذه اللغات، وبالنسبة للأدب الشفاهي غير المكتوب فلم يتيسر جمعه حتى الآن بطريقة منظمة، مما جعل مشكلة المراجع الخاصة به تمثل عقبة حقيقية أمام الدارس، حيث إن ما تم نقله للعربية هو قليل ومبعثر وما زال في مرحلة مبكرة[٣١].

ج- إشكالية المنهج: وتؤكد نفس الدراسة أن على الرغم من الوفرة النسبية للأعمال الأدبية الإفريقية وتاريخها الزمني الطويل، فإن عدد الدراسات التي أُجريت حول كل من الأدب الشفاهي والمكتوب محدودٌ للغاية وما زالت تعتمد على المتفرقين، وقد ظل هذا النمط سائدًا حتى منتصف الستينيات لدى قيام الجامعات والمعاهد والكليات والأقسام الأدبية بدول القارة، مما أدى إلى ظهورصورة جديدة بعيدة عن الأدب الأوربي، وهي صورة المقال والبحث الموجز (الدوريات)، وصورة الكتاب (الأدب الإفريقي في القرن العشرين)[٣٢].

الفصل الرابع: أدب الطفل المغربي:

اولاً- المقدمة:

نظرًا لقلة الدراسات التي تناولت أدب الطفل في دول إفريقيا بشكلٍ عام، وفي دول جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية بشكلٍ خاص، فقد اعتمدت الدراسة على أدب الطفل في أحد دول شمال إفريقيا، وهي المملكة المغربية، باعتبارها أحد أهم المراكز الثقافية في قارة إفريقيا منذ عهدٍ بعيدٍ، والتي يمكن اعتبارها نموذجًا لأدب الطفل في إفريقيا يمكن من خلاله التعرف على شكل ومضمون وأهم إشكاليات أدب الطفل الإفريقي.

ترى إحدى الدراسات أنه بعد ازدهار أدب الطفل المغربي على يد عددٍ من الأدباء الرواد البارزين أمثال: عبد السلام البقالي، ومحمد سعيد سوسان، ومحمد إبراهيم بوعلو، والعربي بن جلون، الذين أثْروا المكتبة الأدبية المغربية والعربية والإفريقية بعددٍ هائلٍ من

القصص والمجلات الموجهة للطفل، مثل: مجلة سامي والعندليب، ومجلة أزهار، ومجلة إرشاد... وغيرها، فقد عرف أدب الطفل المغربي في السنوات الأخيرة تراجعًا كبيرًا في مستوى الكتابة أوالنشر أو الجودة، مما يمكن تسميته بأزمة، فكثيرٌ من الكُتَّاب والأدباء لم يعد لديهم اهتمام بمراعاة خصوصية الكتابة للطفل للأهداف التربوية والثقافية التي تساهم في بناء وتطوير شخصيته، بقدر ما أصبح كل ما يهمهم هو التهافت على النشر وترجمة القصص الأجنبية دون مراعاة لخصوصية الطفل المغربي العربي الإفريقي[٣٣].

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن أدب الطفل في المملكة المغربية ما زال مهمشًا بدرجةٍ كبيرة مقارنةً بأدب الكبار، حيث إن الدراسات حول أدب الطفل بالمغرب ما زالت قليلة، وتُعد على رؤوس أصابع اليد الواحدة، ومما يؤكد ذلك هو ندرة مراجع أدب الأطفال بالمكتبات المغربية، ولعل ذلك يرجع إلى عدم اهتمام الدولة بالبحث بشكلٍ عام والبحث الأدبي بشكلٍ خاص، بالإضافة إلى ارتباطه بتدني مستوى التعليم بالمغرب، وتضيف نفس الدراسة أنه من الممكن إرجاع أدب الأطفال بالمغرب إلى ثلاثة منابع أساسية: أولها أدب المشرق العربي خاصة كُتّاب وأدباء مصر أمثال: على الجارم، وأحمد شوقي، وكامل كيلاني... إلخ، ثانيها الأدب العالمي أمثال: لافوتيه، وجان جاك روسو، وجيمس أري، وشار بيرو، وأخيرًا التراث العربي والإسلامي، مثل: قصص القرآن الكريم، وقصص جحا، ونوادر أبي نواس، وكتابات عبد الله بن المقفع وقصص ألف ليلة وليلة[٣٤].

ثانيًا- تعريف أدب الطفل المغربي:

تُعرِّف إحدى الدراسات المتخصصة أدب الطفل المغربي بأنه "ذلك المنتج الإبداعي الذي يظهر في عدة أجناس أدبية وفنية وجمالية، ويضم الأنواع النثرية والشعرية والأنماط السردية والغنائية والدرامية، كما أنه ذلك التخصص الذي يتمحور حول الطفل ويجعله محورًا ومادة للدراسة والإبداع والتخيّل والتشخيص والتصوير، وهذا الأدب قد يكتبه الطفل للطفل، أو الكبير للطفل، أو الطفل للكبير، إذن فهو الأدب الذي يمكن أن يُطلَق عليه السهل الممتنع، الذي يخضع لمجموعة من الشروط والأركان خاصة الإلمام بالبيداغوجيا (أساليب التربية) والديداكتيك (أساليب التحليل التربوي) وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي"[٣٥].

وفي السياق نفسه، ترى دراسة أخرى أن أدب الطفل هو "الأدب الذي يُقدَّم للأطفال سواء كان شعرًا، أو أغنية، أو قصة، أو مسرحية، ويراعي ميول الطفل واتجاهاته الذهنية، والجسمية، والوجدانية، والانفعالية، والحسية، والحركية، وقد ظهر بالمغرب في السبعينيات من هذا القرن عدة منابر ثقافية تهتم به وترعاه في قصص مثل: السندباد الصغير، والسندباد التلميذ، من خلال مجلات مثل: مجلة الأزهار والإرشاد والعندليب"[٣٦].

ثالثًا- تاريخ أدب الطفل المغربي:

ترى إحدى الدراسات أن تاريخ أدب الطفل المغربي يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل هي كالتالي:

- المرحلة الأولى: وتمتد من عام (١٩٣٦ –١٩٧٠) وتُسمى مرحلة الظهور.
- المرحلة الثانية: وتمتد من عام (١٩٧٠–٢٠٠٠) وتُسمى مرحلة التطور والازدهار.
- المرحلة الثالثة: وتمتد من عام (٢٠٠٠ إلى الآن) وتُسمى مرحلة الانكماش[٣٧].

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن أول ملامح الاهتمام بأدب الطفل بالمغرب بالمفهوم الحديث ورد على صفحات جريدة "العلم" المغربية التي أفردت للأطفال صفحة كاملة تحت اسم "صحيفة الأطفال"، وذلك بداية من عام (١٩٤٧) م، وفي نفس العام ظهرت جريدة "صوت الشباب" التي اهتمت أيضًا بالكتابة لكلٍّ من الشباب والأطفال، ثم ظهرت مجلة "الأنوار" التطاوية عام (١٩٤٨) م التي كانت تنشر في إحدى زواياها زاوية مخصصة للأطفال تحت عنوان "قصص الأطفال"، ثم مجلة "هنا كل شيء" التي كانت تصدر في الدار البيضاء عام (١٩٥٢)، والتي جعلت الأطفال على رأس اهتمامها، وقبل ذلك التاريخ لا يمكن الحديث إلا عن متابعة بعض الصحف المغربية للإصدارات المصرية، ففي عام (١٩٣٥م) أشارت مجلة "المغرب الجديد" إلى صدور سلسلة القصص المدرسية (لسعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران)، ومنذ الحماية الأجنبية على المغرب عرف أدب الطفل بالمغرب تطورًا كبيرًا، وازدهر عقب الاستقلال حتى نهاية القرن العشرين وتأثر تأثرًا كبيرًا بنظيره المصري، وكان أبرز من تأثر به من الكُتّاب هو كاتب أدب الاطفال المصري مصطفى الكيلاني، فطوال السنوات من (١٩٤٦- ١٩٤٨) نقلت صحف الأطفال بالمغرب، خاصة

صحيفة العلم المغربية، اختصارًا، أو تصرفًا، أو نقلًا بسيطًا، أو نقلًا تامًّا، أو اقتباسًا، عن مجموعة لا بأس بها من قصص هذا الرائد المصري الكبير مفردة أو مسلسلة.

ثم اعتمد أدب الطفل المغربي في المرتبة الثانية على قصص كل من: محمد عطية الإبراشي، ومحمد سعيد العريان، ومصطفى دردير، ومحمد أحمد شيت، وغيرهم، إلى أن صدرت جريدة "سندباد"، فأصبح قسمًا كاملًا من الصحف المغربية يتابعها، أو يقتبس، أو يسرق منها، وقد أدت هذه المجهودات إلى الاهتمام بأدب الأطفال بالمغرب، خاصة بعد السماح بدخول المغرب مجلات الأطفال المصرية والعربية أمثال: العربي الصغير، وماجد، وسمير، وعلاء الدين، وبراعم الإيمان، وميكي، وستايل، وفراس، والرواد، والفردوس، والتي كان لها أكبر الأثر في لفت انتباه المربين والمعلمين والأطفال، مما جعل الكُتّاب والأدباء والفنانين المغاربة يحذون حذوها.

وفي السبعينيات ظهرت العديد من المنابر الثقافية المغربية التي تهتم بأدب الطفل مثل: السندباد التلميذ، ومجلة أزهار، والإرشاد، والعندليب، والمغامر، التي ظهرت عام ١٩٧٥م عن جمعية المغامر تحت إشراف أوبريم محمد، ثم مناهل الأطفال التي كانت ترعاها وزارة الثقافة، وأخيرًا مجلة مستعد التي كانت ترعاها الكشفية الحسنية، وجريدة الرائد عام ٢٠٠٧ التي أصدرتها آمال مسوحلي[٣٨].

رابعًا- أهداف أدب الطفل المغربي:

تشير إحدى الدراسات إلى أن أدب الطفل المغربي يهدف إلى ترسيخ أهداف في الطفل، أهمها: خلق المتعة لدى الطفل، مما يساعد على توسيع خبراته، ثم تعميق فهمه لحياة الناس والمجتمع والطبيعة من حوله، وأخيرًا مساعدته على اشتقاق رؤية جديدة للعالم، خاصةً أمام القصور العظيم فيما يخص تنظيم الشعر للأطفال وإنتاج أغاني تساير العصر، خاصة وأن معظم أطفال المغرب ما زالوا يردِّدون أناشيد وأغاني وقصائد شعرية قديمة جدًّا عفى عليها الزمن[٣٩].

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن من أهم أهداف أدب الطفل بالمغرب هو توخي البعد القيمي في تربية الطفل، وربطة بلغته، وترسيخ هويتة الثقافية، ومبادئ المواطنة لديه، وتعزيز الإبداع المدرسي من خلال إشراك الطفل نفسه في العمل، وذلك لتنمية القدرات المعرفية والمهارية والوجدانية لديه، وتطوير شخصيته حتى تنمو بشكلٍ متوازن[٤٠].

خامسًا- خصائص أدب الطفل المغربي:

تشير إحدى الدراسات المتخصصة إلى أن الكتابة للأطفال بالمغرب تتميز بخصائص معينة، أهمها: مراعاة عمر الطفل والانطلاق من التصورات التربوية البيداغوجية والديداكتيكية، والاستفادة من آخر نتائج الدراسات النفسية والاجتماعية للأطفال، الأمر الذي يتطلب اختيار البحوث الخفيفة والمجزأة في كتابة الأشعار والأناشيد الموجهة للطفل، والابتعاد كثيرًا عن التعقيد اللفظي، والإفراط في استخدام الصور البلاغية والمجازية، وفي مجال المسرح ينبغي اختيار مسرحيات هادفة سواء كانت أخلاقية، أو تاريخية، أو اجتماعية، أو تربوية، والتقليل من الشخصيات والمشاهد والفصول والتعقيدات الإخراجية، مع احترام تسلسل الأحداث في سياقها الزماني والمكاني، وتوظيف التراث العربي القديم والتراث العلمي الإنساني، مثل: خيال المآتة، وصندوق العجايب، وحكايات الحيوانات، وتوظيف الأقنعة، ومسرح العرائس، والكراكيز.

وتضيف نفس الدراسة أن من خصائص القصة التي تُكتَب للطفل المغربي أن تكون رمزية تثير خيال الطفل، ويُفضَّل أن تكون على ألسنة الحيوانات والشخصيات الخارقة والعملاقة، وأن تناقش إشكالية الخير والشر في تتابعٍ كرنولوجي، وذلك بالاعتماد على أسلوبٍ مشوقٍ ممتعٍ يثير الفكاهة والسخرية من القيم المتدنية(٤١).

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن لأغنية الطفل المغربي خصائص تتميز بها عن باقي أشكال وصور أدب الأطفال الأخرى، وذلك لما لها من تأثير على منظومة أفكاره ومشاعره، حيث إنها الأدب الأفضل في تعليم الطفل، ويسعى الجميع إلى إعادة الاعتبار لأغاني الطفل المغربي، والارتقاء بالذوق العام لها، وتهذيبها، وتحصينها من الإسفاف الذي أصبح تعرفه الأغنية العربية والمغربية، فغالبًا ما يلجأ أطفال المغرب إلى ترديد هذه الأغاني على مرأى ومسمع من الآباء والأمهات.

وتضيف نفس الدراسة أن كل مَن يتصفح أدب الطفل بالمغرب سواء كان شعرًا أو نشيدًا فإنه سيُفاجَأ بأنه كان يتناول منذ ظهوره إبان الاستعمار مواضيع شتى لا تخرج في عمومها عن الشعر الوطني والسياسي والاجتماعي والديني والتربوي، حيث إنه قد تعايش مع كل الأحداث التي مرَّ بها المغرب، كثورة الريف التي تزعمها محمد عبد الكريم الخطابي والظهير البربري عام (١٩٣٠)؛ من أجل المطالبة بالاستقلال والتغني بثورة الشعب والملك،

ورصد حركات التحرر العربي من جرّاء الوجود الاستعماري، والعزف على ترانيم الشعر القومي والإنساني، خاصة وأن شعر الطفل المغربي وأناشيده يحملان في طياتهما طابع الجهاد والاستشهاد والنفي والاغتراب والاعتقال والتحدي إبان الاستعمار، بينما عقب الاستعمار والتحرر فقد أصبح مرتبطًا بالأحزاب والمناسبات الوطنية والتنظيم الكشفي والرياضي، كما كان أكثر ارتباطًا بالوطن والراية، مثل النشيد الوطني المغربي "منبت الأحرار" الذي ألّفه الشاعر المغربي (علال الثقلي)، هذا وقد انصبَّ أيضًا على تناول مواضيع أخرى متنوعة: كالطبيعة والفصول الأربعة، وقصص الحيوانات، على غرار شعر أمير الشعراء أحمد شوقي وعثمان جلال، كما ركَّز على المدرسة بكل مكوِّناتها الإدارية والتعليمية والدفاع عن اللغة العربية، على غرار قصيدة اللغة العربية لشاعر النيل حافظ إبراهيم[٤١].

سادسًا- واقع أدب الطفل المغربي:

عرف أدب الطفل في المغرب في الفترة الحالية تعثرًا وتراجعًا كبيرًا، سواء على المستوى الكمي أو الكيفي، وذلك لعوامل كثيرة موضوعية وذاتية سبق عرضها، الأمر الذي تطلب ضرورة التعرف على واقع أدب الطفل بالمغرب، إذن فما هو واقع أدب الطفل المغربي حاليًا؟ واقع أدب الأطفال بالمغرب يمكن اختزاله في خمسة أجناس هي كالتالي:

١- المسرح:

ترى إحدى الدراسات أن مسرح الطفل في المغرب يختلف عن المسرح المدرسي، وقد يلتبس معنى الاثنين على القارئ، حيث إن مسرح الطفل هو أعمّ وأشمل من المسرح المدرسي؛ فالمسرح المدرسي يقتصر وجوده على الروضة والمدارس بأنواعها الابتدائية والإعدادية والحرة، بينما مسرح الطفل هو في دلالته مسرح عام يتجاوز فضاء المؤسسة إلى فضاءات خارجية تربوية وغير تربوية، يشارك فيه الصغار والكبار، وقد يشرف عليه أشخاص لا يكونون محسوبين على المجال المدرسي، وقد انطلقت بداية مسرح المدرسة بالمغرب عام ١٩٨٧، بينما بدأ مسرح الطفل عام ١٩٢٣ لدى تقديم فرقة (مولاي إدريس) مجموعة من مسرحيات الأطفال، ومن أهم الذين كتبوا مسرحياتٍ للطفل في المغرب: العربي بن جلون، ومحمد سوسان، والمحجوب البدري، أما من اشتغلوا بالمسرح، فمنهم (الإخوان الفاضلي)، وفي النقد عرف منهم: سالم أكومندي، ومحمد مسكين، وعبد الكريم برشيد[٤٩].

٢- السرد القصصي والحكائي:

ترى إحدى الدراسات أن قصص الأطفال بالمغرب لم تظهر إلا بداية من عام ١٩٤٧، وذلك مع انطلاق صفحة الأطفال بجريدة العلم، كما ظهرت جريدة صوت الشباب المغربي على يد إبراهيم السائح الذي خصصها للأطفال، بالإضافة إلى مجلة "هنا كل شيء" التي صدرت في الدار البيضاء عام ١٩٥٢، كما ظهرت في السبعينيات عدة منابر ثقافية تهتم بقصص الأطفال، مثل: السندباد الصغير، والسندباد التلميذ، ومجلات الأزهار، والعندليب، عام ١٩٧٥ عن جمعية التعاون المدرسي، ومجلة المغامر، ومن أهم الكُتَّاب المغاربة الذين كتبوا للأطفال مصطفى غزال، ومصطفى رسام، ومحمد شفيق، وعبد الكريم حليم.

وقد اعتمد كُتَّاب قصص الأطفال على النقل والترجمة والاقتباس، وقد تأثروا بالأدب السردي العربي القديم (كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة)، كما تأثروا بالآداب الأجنبية والكتابات القصصية المشرقية خاصة من مصر، مثل: كامل كيلاني، ومحمد عطية، ومن أهم قصص الطفل بالمغرب: سلسلة سناد لعبد الفتاح الأزرق، وسلسلة كان ياما كان لمصطفى رسام، وسلسلة القصص المدرسية لعبد الحق الكتاني.

٣- الشعر:

وعن شعر الأطفال، ترى نفس الدراسة أن شعر الأطفال بالمغرب يرتبط بالأناشيد والقصائد الوطنية والأغاني الخفيفة التي كان يردِّدها الأطفال داخل وخارج المغرب إبان الاحتلال وبعد الاستقلال حتى الآن، ومن أهم الشعراء المغاربة الذين كتبوا للأطفال هم: محمد الطاهر الزيتوني، وعلى النقلي صاحب النشيد الوطني المغربي، وقد صدرت له عام ١٩٩٠ مجموعاتٌ غنائية وشعرية للأطفال، وأحمد عبد السلام البقلي في ديوان (الصغار) الذي نُشِر ضمن كتابه "أيامنا الخضراء"، ومن أهم الشعراء المغاربة المعاصرين للأطفال (محمد عبد الله الرباوي) في ديوانه عصافير الصباح، وديوان محمد لقاح (سأفتح باب فؤادي)، وديوان جميل حمداوي (يحيا السلام)[٥٠].

٤- الفنون التشكيلية:

تشير إحدى الدراسات إلى أن فن الرسم التشكيلي بالمغرب قد نال أهمية كبرى ضمن البرامج الموجهة للطفل في الماضي، وما زال هذا التقليد ساريًا حتى الآن في إذاعة المغرب الوطنية ضمن أهم البرامج المتعلقة بالأطفال، ومن أهم رواد هذا الفن من المغاربة (عبد الله

الفيلالي) الذي كان يشارك في العديد من البرامج الإذاعية للأطفال من خلال عمل مسابقاتٍ بين الأطفال في مجال الرسم التشكيلي(٥١).

٥- السينما:

تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أن الحديث عن سينما الأطفال بالمغرب لا يُقصَد به الأفلام الكارتونية كما يظن البعض، وإنما يُقصَد بها الأفلام الروائية الخاصة بالطفل الذي يُحاط يوميًّا بآلاف الصور المرئية الكارتونية وغيرها، حتى أصبحت تشكِّل وعيه الباطن، وتغذي شخصيته المتسمة بالعنف في عصرنا الراهن، سواء في الأفعال أو الحركات أو الألفاظ، إضافة لغياب الأخلاق والمسح الحضاري الذي أصبح عنوانًا لمعظم المجتمعات، وتضيف نفس الدراسة أن المتأمل في الفيلموغرافية المغربية يلاحظ أن موضوع الطفل حاضر بقوة على الساحة المغربية بالرغم من قلة الأشرطة الخاصة به، وهذا الحضور يظهر من خلال عدد وعناوين أفلام الأطفال المغربية، مثل: شاطئ الأطفال الضائعين ١٩٩١، والطفولة المغتصبة ١٩٩٣ لحكيم النوري، والطفولة المتمردة ٢٠٠٨ لمؤمن السميحي. لذلك يمكن القول بأن المغرب كان بإمكانه أن يكون رائدًا في مجال سينما الطفل على المستوى العربي، وأن يؤسس لسينما متميزة تخصّ الطفل وعالم الطفل، إلا أنه نتيجة لظروف الحرب وضعف الإمكانات وعدم اهتمام وزارة الثقافة فلم يتوفر في المغرب مهرجانًا واحدًا لسينما الطفل سوى مهرجان المعاقين الذي يهتم أساسًا بالطفولة(٥٢).

سابعًا- أهم إشكاليات أدب الطفل المغربي وسبل حلها:

مما لاشك فيه أن هناك أزمة حقيقية في أدب الطفل بالمغرب، وذلك كنتيجة طبيعية لوقوع تقصيرٍ في حق الطفل وأدبه من جهاتٍ عديدة، منها: دور النشر، والكُتّاب والأدباء، والأسرة والمجتمع، والإعلام ووزارتي التربية والثقافة.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن المتتبع لأدب الطفل بالمغرب سيكتشف انحسارًا وتراجعًا كبيرًا فيه، ليمحو كل ما عرفته الأجيال السابقة من إبداعٍ خاصةً قصص وروايات الأطفال لعبد السلام البقالي والعربي بن جلون وغيرهما.

وعلى الرغم من المجهودات التي بُذلت من أجل تطوير أدب الأطفال بالمغرب في الماضي، فإنها لم تستمر طويلًا ليستفيد بها الأجيال الحالية مثل أي دولة عربية أو إفريقية أخرى؛ وذلك لتعثرها أمام عددٍ من الإشكاليات من المتاريس البيروقراطية والسياسية،

إضافة لضعف الإمكانات المادية، وانعدام الحافز المعنوي، وتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المغرب بعد فترة السبعينيات؛ نتيجة لدخولها في الصراع حول الصحراء بين جبهة البوليساريو والجزائر، وقد استنزف هذا النزاع ميزانية الدولة عبر السنوات الطويلة، مما كان له أكبر الأثر على الثقافة والتعليم والقوة الشرائية للمواطن المغربي، وبالتالي توقف أدب الطفل على كافة الأصعدة وفي شتى الصور والأجناس الأدبية، ورغم بروز بعض المحاولات الجادة بين الحين والآخر فإنها لم تستمر طويلًا لتعود الأزمة مرة أخرى(٤٢).

وترجع إحدى الدراسات هذه الأزمة إلى جانبين مهمين:

١- **جوانب الأزمة**:

أ- الجانب الموضوعي: ويتعلق باختلال شروط التلقي، وتراجع القراءة كنشاطٍ أساسي للمعرفة أمام ذيوع وانفجار المعرفة البصرية المتاحة عبر القنوات والمنتديات والمواقع؛ إذ انحسر اطلاع طفل اليوم على العالم عبر حاسة الرؤية المباشرة، بينما لم يعد يشغل حاسة التخيّل التي تتصل أساسًا بالقراءة في كتابٍ ورقي، الأمر الذي انعكس سلبًا على وعي الأطفال وعلى طبيعة تمثيلهم لمحيطهم، وعلى التخيّل والإبداع واتخاذ القرارات.

ب- الجانب الذاتي: وهو يتمثل في طبيعة المادة المتخيلة التي نقدمها للطفل؛ إذ لم يعد مستساغًا ولا منطقيًّا الحديث عن الجن والأشباح والساحرة الشريرة والأمير وعقلة الإصبع مثلًا، حيث إننا اليوم أمام طفلٍ أكثر ذكاءً منا وأكثر اطلاعًا ومشاهدة وتفاعلًا مع الأفلام الكارتونية، سواء كان خيالًا علميًّا أو أية معالجة لظواهر خارقة وميتافيزيقية، وهكذا أصبحنا نخاطب طفلًا ذا بنية عقلية مركبة، ولا بد من بذل مجهودٍ كبيرٍ لإقناعه، ولن يتأتى ذلك إلا بانتقاء مواضيع يحسّ بها وتمسّ شعوره وإدراكه، شريطة أن تُصاغ بلغةٍ ذكية تحترم عقله وقدراته وخياله الواسع(٤٣).

بينما تُرجِع دراسة أخرى الأزمة إلى برامج التعليم التي لا تأخذ بعين الاعتبار في كثيرٍ من الأحيان المرتكزات الكبرى التي يقوم عليها أدب الأطفال، أي الموضوعات التي يمكن أن نتحفه بها من حكاياتٍ أو شعرٍ أو غير ذلك، ثم الاعتقاد السائد لدى الكثيرين ممن يعملون في مجال أدب الأطفال سواء كان في التأليف أو

الطباعة أو النشر أو التوزيع، بأن هذا النوع من الأدب لا يُدرّ عليهم ما ينتظرونه من ربحٍ ومال، وأخيرًا لعدم ترسيخ الاهتمام في تقاليدنا بالطفل كعنصرٍ بشري مهم في حياة المجتمع ومجددٍ كبيرٍ لدماء الأمة مستقبلًا(٤٤).

٢- مظاهر الأزمة:

ترى إحدى الدراسات أن أزمة أدب الطفل بالمغرب لها العديد من المظاهر، أهمها:

أ- التهافت العشوائي للكثير من الكُتّاب والأدباء على إعادة صياغة قصص قديمة في قالبٍ آخر مهلهل، تنقصه اللغة المناسبة لتطوير الطفل، وتقنيات الكتابة، والمجموعات الملائمة للمتلقي الصغير.

ب- تسارع دور النشر على طبع مثل هذه الأعمال الهزيلة؛ بغية الربح الكثير والسريع دون إعطاء الطفل أي اهتمام هل هي مفيدة له أو لا، وما إذا كانت ستؤثر عليه إيجابيًّا أم سلبيًّا.

ت- عدم وجود متابعة ورقابة وتوجيه من الجهات المسئولة لجميع الأطراف العاملة في هذا المجال سواء بوزارة الثقافة أو التربية والتعليم، بدعوى حرية التأليف والنشر، مما أدى لوجود ما يمكن تسميته بالفوضى والارتجالية.

ث- ظاهرة الاستغلال التجاري لأدب الطفل بالمغرب أكثر من أي أدب آخر، لدرجة أن هناك من الكُتّاب مَن يقوم بتاليف أي شكلٍ من أشكال أدب الأطفال دون أن يهتم بذكر اسمه؛ لأن كل ما يهمه هو الربح فقط، ولذلك نجد أن الكثير من دور النشر يعيد طباعة قصص سابقة لجحا أو لحديدان (أسطورة مغربية) أو للأنبياء والصحابة لمجرد تحقيق هامش ربحٍ كبيرٍ لا للتثقيف ولا التربية ولا التعليم، وتضيف الدراسة أن الأديب المغربي العربي بن جلون كان في أحد معارض الكتب فلاحظ أن أحد الأطفال بصدد شراء أحد الكتب التي لا تتناسب ومرحلته العمرية، وعندما سأله عن السبب في شراء الكتاب، أجاب بأنه لمجرد ذكرى يحتفظ بها للمعرض، فاقترح عليه كتابًا آخرأكثر تناسبًا مع المرحلة العمرية له وأقل ثمنًا، مما جعل صاحب المكتبة يتدخل والشرر يتطاير من عينيه ويعاتبه ويطالبه بعدم التدخل في اختيارات الأطفال، ولعل ذلك يرجع لشعور البائع أنه

خسر صفقة بيع كتابٍ إلى الطفل بعشرة أضعاف الكتاب الذي اشتراه دون الاهتمام بما إذا كان الطفل سيستفيد منه أم لا !![٤٥].

وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أن من أهم المظاهر التي تعكس أزمة أدب الطفل في المغرب هي بداية غياب سياسة ثقافية تربوية تشجع على الكتابة للطفل بل وتدعم القائمين على هذا العمل، سواء كانوا مؤلفين وأدباء، أو ناشرين، أو موزعين كما هو الحال في الدول المتقدمة، مرورًا بتدني مستوى المتعلمين، خاصةً في مستويات القراءة وإتقان اللغات، نهايةً بندرة البرامج التعليمية التربوية التي كانت تصدرها بعض المراكز التربوية والهيئات والمنظمات الكشفية التي تعتني بالطفولة وتصدر عنها صحف ومجلات للطفولة، إلا أنها توقف صدورها الآن[٤٦].

٣- مقترحات وسبل حل الأزمة:

تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أن هناك أربعة أمور للخروج من أزمة أدب الطفل في المغرب وحل إشكالياتها، هي: احترام ذكاء الطفل، ثم اختيار مضامين متصلة بالواقع، وأيضًا الاستعانة بأسلوبٍ يحترم المنطق والعلاقات السببية بين الدوافع والنتائج، وأخيرًا الابتعاد قدر الإمكان عن شَغْل خيال الطفل بالخرافات.

وتضيف نفس الدراسة أن من المضامين المناسبة والمفيدة للطفل، والتي يمكن أن تُخرِج أدبه من أزمته هي القصص ذات المضامين الاجتماعية التي هي الأقرب بلا منازعٍ إلى خيال الطفل، وذلك عن طريق كتابة جُملٍ من القصص التي تنسجم مع هذا التوجه، مع اختيار لغة تنحاز إلى المجاز حينما يتعلق الأمر بالوصف، خاصة الوصف السيكولوجي للشخصيات المأزومة والمهمَّشة اجتماعيًّا، في حين تترك اللغة تتدفق على سجيتها عندما يتعلق الأمر بالسرد[٤٧]. وفي نفس السياق، ترى دراسة أخرى أنه كي يتم المساهمة في حل الأزمة فعلى كلٍّ من الكاتب والأديب العمل على التطوير من نفسه طوال فترة حياته الأدبية، والاستفادة من التجارب العربية والغربية في أدب الطفل، وأخيرًا الاقتراب من الأطفال والتعرف على طلباتهم وميولهم وانفعالاتهم، حتى إنه من الممكن عرض الأعمال الأدبية لهم على عينة عشوائية منهم قبل طباعتها[٤٨].

التوصيات:

في ضوء ما توصلت اليه الدراسة من نتائج توصي بالآتي:

١- تشكيل مجلس أعلى لأدب الطفل من جميع الدول الإفريقية، ويضم المسئولين عن أدب الطفل فيها، وينعقد بشكلٍ دوري سنويًّا في إحدى الدول الإفريقية؛ لبحث مشاكل أدب الطفل وحلها، والعمل على تطويره والاستفادة من تجارب دول القارات الأخرى.

٢- التوسع في إقامة التظاهرات الدورية على مستوى المسئولين عن الثقافة وأدب الأطفال في الدول الإفريقية بجميع أشكالها، مثل: مهرجانات سينما الطفل، ومسرح الطفل، ومعرض كتب الطفل، مع تخصيص الجوائز التشجيعية للمبدعين من جميع العاملين في هذا المجال من كُتّابٍ وأدباء، ونقادٍ، ودور نشر.

٣- زيادة التنسيق والتعاون بين الأطراف المختلفة لأدب الطفل من كُتّابٍ وأدباء ودور نشرٍ ونقادٍ في الدول الإفريقية؛ للاستفادة من الخبرات فيما بينهم.

٤- تخصيص كرسي لأدب الطفل في الكليات والجامعات الإفريقية؛ لتدريس أدب الطفل في المرحلة الجامعية والدراسات العليا.

٥- اتباع الدول الإفريقية لسياسة ثقافية تربوية؛ لتشجيع أدب الطفل، وتدعيم القائمين عليه، وتذليل مشكلاتهم كُتّابًا كانوا أو أدباء، أو فنانين، أو ناشرين، كما تقوم به الدول المتقدمة.

٦- التأكيد على إسناد المناصب القيادية في الجهات الإفريقية المسئولة عن أدب الأطفال إلى المثقفين العاملين في هذا المجال من أدباء وكُتّابٍ وفنانين بعيدًا عن المجاملات.

٧- مناشدة وزارات الثقافة الإفريقية بزيادة الميزانيات المخصصة لأدب الطفل، وعدم اعتباره جزءًا أو تابعًا لأدب الكبار.

٨- تذليل الصعوبات وحل المشكلات المختلفة لتبادل الأشكال المختلفة لأدب الطفل بين الدول الإفريقية.

٩- التنسيق والتعاون التام بين وزارتي: الثقافة، والتربية والتعليم الإفريقية؛ لإمكانية الاستفادة من العاملين في أدب الطفل من كُتّابٍ، وأدباء، ورسامين وفنانين، في إعداد

الكتب والمناهج الدراسية في المراحل الدراسية الأولى للأطفال؛ وذلك لما لديهم من خبرة في هذا المجال.

١٠- التوسع في عملية الترجمة لجميع أشكال أدب الطفل في الدول الإفريقية باللغات الرئيسة، مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والعربية؛ لنجاح عملية تبادلها بين الدول الإفريقية والاستفادة منها.

١١-مطالبة الأدباء والكُتَّاب والفنانين والرسامين الأفارقة في أدب الطفل، بتطوير أنفسهم طوال فترة حياتهم الأدبية، والاستفادة من خبرات الآخر بنفس المجال في الدول المتقدمة.

المراجع:

١- محمد رياض وكوثر عبد الرسول، إفريقيا - دراسة لمقومات القارة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ٢٩.

٢- مارمول كريخال، إفريقيا، ط٢، القاهرة، مطابع المعارف الجديدة، ١٩٨٩، ص ١٥٥.

٣- عبد الله عبد الرازق وشوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠١٩، ص ١١٢.

٤- عبير شوقي ذكي، العلاقة بين الدين والسياسة في إفريقيا، ط١، القاهرة، مكتبة العربي للمعارف، ٢٠١٥، ص٧٣.

٥- شار أندرليه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلام، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١١، ص٦٢.

٦- جمال حمدان، إفريقيا الجديدة- دراسة في الجغرافيا السياسية، غير منشور سنة ومكان النشر، ص٣٦.

٧- كلود فونيه، إفريقيا للإفريقيين، ترجمة أحمد كمال يونس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٨، ص٤٠.

٨- محمد مختار وأمين مكرم، أضواء حول إفريقيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ص٢٢.

٩- جمال حمدان، إفريقيا الجديدة - دراسة في الجغرافيا السياسية، مرجع سابق، ص ٤٢.

١٠- عبد الحي عبد الحق، القرابة اللغوية أو العربية في غرب إفريقيا، غير مذكور جهة النشر، ١٩٩٧، ص ٥٣.

١١- حسن مكي، التواصل العربي الإفريقي على جانبي الصحراء- دراسة إفريقية، العدد التاسع، القاهرة، غير منشور جهة النشر، ١٩٩٨، ص٦١.

١٢- محمد البشير سميلا، الأوضاع السياسية وأثرها على التعليم الإسلامي في اليمن (١٩٤٥-١٩٩٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠٠٠، ص ١١٢.

١٣- محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٨٠، ص ٧٣.

١٤- عبد الله سليمان أحمد، الأدب الإفريقي النص الغائب، الخرطوم، دار المقدم للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص ٢٦.

١٥- على شلش، الأدب الإفريقي، القاهرة، عالم المعرفة، ١٩٩٣، ص ١٣.

١٦- عبد الحليم حفينة، الأدب الإفريقي، مقال في جريدة روز اليوسف، بتاريخ ٢٧ أغسطس ٢٠١٨، ص٤.

١٧- رول شونيكا، الأسطورة والأدب الإفريقي، ترجمة نسيم مجلي وإيلين مجلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ط، ٢٠١٦.

١٨- يوسف ميكنيلا، الأدب الإفريقي بين الأصالة الإسلامية والمتعة الفنية، نيجيريا، غير مذكور جهة النشر، ٢٠١٧، ص ٤٣.

١٩- عامر صمب، الأدب السنغالي العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٨، ص ٣٨.

٢٠- يوسي منهيلا، الأدب العربي النيجري ومؤثرات الاستعمار الفرنسي عليه، ٢٠٠٩، ص ٥٧.

٢١- عبد الكريم الشرقاوي، الملحمة اليونانية في الأدب العربي، الجزائر، دار توبقال الجامعية، ١٩٨٨، ص ٤٦.

٢٢- على شلش، مختارات من الأدب الإفريقي، دار الشئون الثقافية، ١٩٨٦، ص ٣٩.

٢٣- حاج أبا آدم الحاج، دور الأدب الإفريقي في التحرر الوطني، كلية الموسيقى والدراما، جامعة السودان للعلوم، الخرطوم، غير مذكور سنة النشر، ص ٣٤.

٢٤- عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية- دراسة تحليلية، ط١، دمشق، سوريا، دار الطباعة للتوزيع والنشر، ١٩٨٨، ص ٢٣-٢٥.

٢٥- محمد جريلس، أنثروبولوجيا الحكاية، دراسة أنثروبولوجيا في حكايات شعبية تونسية، تونس، مطبعة تونس، ١٩٩٥، ص ٥٨.

٢٦- عمر عبد الحافظ، الأدب الإفريقي ومسألة اللغة، عمان- الأردن، غير منشور مكان النشر، ٢٠١٦، ص ١١٢.

٢٧- ياسمين فيدوح، أشكال الترجمة في الأدب المقارن، دمشق- سوريا، دار صفحات للدراسة والنشر، ٢٠٠٩، ص ٢٧.

٢٨- أسامة الجوهري، الفن الإفريقي، القاهرة، دار هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٨.

٢٩- سنجور يوريس سوبار، المسرح السنغالي ودوره في قضايا المسرح الإفريقي، ترجمة فيفي فريد، ط١، أكاديمية الفنون، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٣.

٣٠- حسن إلهامي، تاريخ المسرح، سلسلة كتابي، العدد ١٠١، دار المعارف، القاهرة، غير مذكور سنة النشر، ص ٧٢.

٣١- على شلش، الدراما الإفريقية، سلسلة كتابك، عدد ١٠٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٣.

٣٢- إبراهيم أحمد، التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير، ط١، بيروت- لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩، ص ٧٣.

٣٣- جميل حمداوي، أدب الأطفال في الوطن العربي، ط١، الناظور - المغرب، مطبعة المقدم، ٢٠٠٩، ص ١٢.

٣٤- على الحديدي (في أدب الأطفال)، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠، ص ٩.

٣٥- جميل حمداوي، بيليوغرافيا أدب الأطفال في المغرب، ط١، الرباط، ٢٠١٠، ص ٢٢.

٣٦- نجلاء نصير بشور، أدب الأطفال العربي، ط١، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢، ص ١٥.

٣٧- لطيفة الهدراني وآخرون، دراسات وبيلوغرافيا، أدب الأطفال والشباب بالمغرب، ط١، الدار البيضاء، مطبعة صاع لرياسيون ش.م.م، ٢٠٠١، ص ٢٣.

٣٨- سمر روحي الفيصل (أدب الأطفال وثقافتهم) دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب الرباط، ١٩٨٨، ص ٤٣.

٣٩- محمد حسن بريغش، (أدب الأطفال)، أهدافه وسماته، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص ٣٧.

٤٠- حسن شحاتة (أدب الأطفال- دراسات وبحوث)، ط٢، بيروت، الدار المصرية اللبنانية للطبع، ١٩٩٤، ص ٢١.

٤١- أحمد فضل شبلول، الأدب الإفريقي، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٤٢- عبد الفتاح معال، أدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق، ط٢، الرباط، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص ٢١.

٤٣- أحمد عبد السلام البقالي، أيامنا الخضراء، الدار البيضاء، المطبعة الملكية، ١٩٧٦، ص ٥٦.

٤٤- أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي ـ دراسة تحليلية ناقدة، ط١، القاهرة، دار المعارف، ص ١٢٣.

٤٥- أحمد زلط، (أدب الطفولة أصول ومفاهيم) رؤى تراثية، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١١٦.

٤٦- سعيد سالم الكرواتي، نوارس الربيع، ط١، الدار البيضاء، مكتبة سالم للثقافة، ٢٠٠٧، ص ٣٣.

٤٧- العربي بن جلون، أدبيات الطفل المغربي - بيلوغرافيا عامة، ط١، الرباط، مطبعة المعارف، ١٩٩١، ص ١٠٦.

٤٨- العربي بن جلون، شعر الأطفال - دراسات مشتركة، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

٤٩- جميل حمداوي، مسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ط١، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠١٠، ص ٣٤.

٥٠- إبراهيم السولاني، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، ط١، دار الثقافة بالدار البيضاء، ١٩٧٤، ص ٨٣.

٥١- محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، ط١، تطوان، مطبعة جامعة عبد الملك السعدي، ١٩٩٨، ص ٧٧.

٥٢- مصطفى المسناوي، أبحاث في السينما العربية، غير منشور مكان النشر، منشورات الأمة، العدد ٢٧، ٢٠٠١، ص ٣٧.